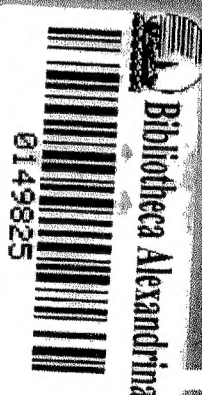


محمد سيد كيلاوي

أثر التشيع في الأدب العربي

دار العرب
للطباعة



أثر التشيع في الأدب العربي

بقلم
محمد سيد كيروني

الطبعة الثانية
١٩٩٥ - ١٩٩٦

دار العرب
للبيئات

٢٨ شارع الفجالة - ١١٢٧١ - القاهرة

ت: ٥٩١٥٣١٥ - ٩٠٨٠٢٥

فاكس: ٧٧١١٤٠ - ٢٠٢

المصادر

— الملل والنحل	— الشهرستاني
الفرق بين الفرق	— عبد القادر البغدادي
الإمامة والسياسة	— ابن قتيبة
الأغاني	— الأصبهاني
أعيان الشيعة	— الحسيني العاملي
الفتوحات المكية	— ابن عري
يتيمة الدهر	— الثعالبي
المنهج الحنف	— أحد رجال الطرق الصوفية
معجم الأدباء	— ياقوت
نهج البلاغة	— شرح ابن أبي الحديد
نهج البلاغة	— شرح محمد عده
نهج البلاغة	— شرح رزاق حبيب الله
تاريخ الأمم والملوك	— الطبري
الأمالي	— الشريف المرتضى
الأمالي	— أبو علي القالي
العقد الفريد	— ابن عبد ربه
السيرة	— ابن هشام
مناقب آل أبي طالب	— السروي المازندراني

— د —

— الكميت	الهاشميات
— محمد بن سلام الجمحي	طبقات الشعراء
— ابن خلكان	وفيات الأعيان
— محمد بن شاكر	فوات الوفيات
— الجاحظ	البيان والتبيين
— ابن رشيق	العمدة
— ابن النديم	الفهرست
— ابن حزم	الملل والنحل
— الصولي	الأوراق
	ديوان كثير
	ديوان ابن الرومي
	ديوان الشريف الرضي
	ديوان مهيار الديلمي
	ديوان ابن هاني الأندلسي

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هي الطبعة الثانية لكتاب « أثر التشيع فى الأدب العربى » ،
والتشيع مذهبٌ سياسى ودينى فى نفس الوقت ، لأنه يتناول أصلاً
من أصول الحكم ، ويسجل الخلافات الدينية بين الأحزاب فى ذلك
الوقت . وما زالت هذه الخلافات موضع مناقشات ومساجلات بين
هذه الأطراف . ولا يخفى أن الذى أضعف المسلمين فى الماضى
والحاضر هو كثرة المنازعات الداخلية بينهم . ومن الخير لهم أن
يتجاهلوا خلافات الماضى ، فالماضى لا يعود . وقد تطورت الدنيا
وتغيرت . فخير لهم أن يعودوا إلى طبيعة الدين الإسلامى السمحة .
فالمسلم أخو المسلم والدين الإسلامى ينهى عن التفرق ويدعو إلى
الوحدة والتضامن . وهذا يجعل المسلمين إخوة لا فرق بين هذا وذاك
إلا بالتقوى .

والله يغفر لمن يشاء ويرحم الجميع من الناطقين بالشهادتين : —
شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .
وكتاب أثر التشيع يدعو إلى المحبة والوفاء بين الناس أجمعين .
وقد استفاد خصوم العرب من التفرق والتنازع بين أبناء الدين
الواحد ، وهذا ما نهى عنه الإسلام .
﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ والإخوة يجب أن يتصافحوا وتصفو
القلوب بينهم ، ويعملوا على خير المجتمع .
والله الموفق .

محمد سيد كيلانى

القاهرة فى ١٢ أكتوبر ١٩٩٤

مقدمة

الطبعة الأولى

هذا بحث فيما أحدثه التشيع من أثر في الأدب العربي ، بدأته منذ قيام علي بن أبي طالب بحركته ، وانقسام المسلمين إلى حزبين كبيرين : حزب يتشيع لعلی ، وحزب يقف وراء معاوية ، ثم حزب ثالث لا يرضى عن هؤلاء ولا عن أولئك ، وهو حزب الخوارج .

وقد رتبته على أربعة أبواب ، وخصصت أول فصل من الباب الأول للكلام على الخلافة ؛ وأتيت في الفصل الثاني ببذرة عن أشهر فرق الشيعة العلوية ومعتقداتها ، ليسهل بذلك على القارئ فهم ما جاء في الشعر الشيعي من مذاهب وآراء ، كالقول بالرجعة وعصمة الأئمة والمهدي المنتظر وغير ذلك من العقائد التي أوردتها شعراء تلك الطائفة في كثير من شعرهم .

وكان العلويون والأمويون والخوارج يتراشقون بالكلام ، كما كانوا يتطاحنون بالسيوف والسهام ، فأخذ الخطباء والشعراء والكتاب يدافع كل منهم عن الحزب الذي ينتمى إليه ، ويدود عنه ، ويرد على مطاعن أعدائه ويحرض على الكفاح والجهاد . فترى في الفصل الأول من الباب الثاني أثر التشيع واضحا إلى أبعد حد في دولة النثر : في الخطابة ، والرسائل ، والحديث ، والقصص ، وانتحال القول . وفي الفصل الثاني من هذا الباب تكلمت على أشهر خطباء الشيعة مع دراسة تحليلية للكتاب نهج البلاغة .

— ز —

وتناولت في الفصل الأول من الباب الثالث الكلام على مظاهر
انتحال الشعر عند الشيعة . وخصصت الفصل الثاني للحديث عن
أغراض الشعر عند هؤلاء القوم . فمن مدح لآل البيت بدأ ساذجاً
بسيطاً لا أثر للتكلف فيه ، ثم أخذ يتدرج في الغلو شيئاً فشيئاً حتى
جاء ابن هاني الأندلسي فظهر في شعره نوع من المديح لاعهد للمسلمين به
من قبل . إلى رثاء حار منبعث من أعماق القلوب . فقد حدث أن قتل
على ثم قتل ابنه الحسين من بعده على صورة مؤلمة . ثم تتبع الأمويون
والعباسيون من بعدهم العلويين ، فنكلوا بهم أشنع تنكيل ، ومثلوا بهم
أفظع تمثيل ، فحرك ذلك عواطف كثير من الشعراء ، فأنشؤا قصائد
قوية فيها لوعة وأسى ، وحزن عميق وألم شديد ، إلى غير ذلك من
الأغراض التي تناولها شعراء الشيعة وهي مفصلة كما تراها في موضعها
من هذا الكتاب .

وأنتيت في الباب الرابع بتراجم مختصرة لعشرة من شعراء الشيعة ،
بدأتهم بالكيميت ، وختمتهم بابن هاني الأندلسي ، وبهذا ينتهي الكتاب .

محمد بن عبد الحميد

القاهرة في أول مايو سنة ١٩٤٧

الباب الأول

الفصل الأول

مشكلة الخلافة

(١) القدماء والتاريخ

اعتاد بعض قدامى المؤرخين أن يسلكوا في كتابة تاريخ الصحابة مسلكا عجيبا ، قترام يطمسون بعض الحقائق طمسا غريبا ، ويضللون الناس تضليلا كبيرا ياغراقهم في المدح والثناء على هؤلاء الرجال بحق وبغير حق حتى يتوهم القراء أن الصحابة أشخاص مقدسون لا يجوز عليهم الخطأ ؛ يفعلون ذلك ظانين أن كتابتهم التي يكتبونها على هذا النحو تقرّبهم من الله زلني ، وتضمن لهم الجنة ... ولا ريب في أنهم مخطئون ، ولا عجب أن كانت كتابتهم خلوا من الروح العلى الصحيح ، لافائدة منها ولا خير فيها ، تقرؤها فتشعر بأنك تطالع قطعة من المديح ، لا أكثر ولا أقل ؛ فتمحيص الحقائق التاريخية ، وتحليل أعمال الأشخاص ، ووضع الأمور في نصابها ، والنظر إلى الموضوع في نزاهة وإخلاص ، وتحري الصدق والتجرد من الأهواء ، وتحكيم العقول بدلا من الميل مع العواطف ، كل هذا من الأمور التي لم يعرف القدماء إليها سبيلا ، اللهم إلا المعتزلة الذين كانوا مطبوعين على الجرأة والصراحة .

وفي هذه الأيام نجد كثيرين يسلكون مسلك القدماء فيما يكتبون :
يرددون ما خطته أقلام أسلافهم من غير بحث ولا تحقيق . وإن أنت
حاولت أن تتبع طريق العلماء الباحثين ، وتحكم عقلك فيما لم يعتادوا تحكيم
عقولهم فيه ، رموك بالكفر ، واتهموك بالإلحاد ، وانهالوا عليك بالشتائم
والسباب ...

وسواء رضى هؤلاء أو غضبوا ، فإنى أوشر أن أنهج نهج العلماء
المحققين الذين يضعون الحقيقة فوق كل اعتبار .

(٢) لمن الخلافة ؟

ما كاد النبي يلفظ النفس الأخير حتى تحركت أطماع^(١) بعض
الصحابة في منصب الخلافة ، وأظهر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء ،
وتكشفت النفوس عما كانت تنطوى عليه من أمور كانت مستورة مدة
حياة النبي ، وظهرت بعد ساعات قليلة من وفاته .

لقد اجتمع الأنصار عقب وفاة الرسول إلى سيدهم سعد بن عباد
في سقيفة بني ساعدة وبايعوه خليفة . وما كاد أبو بكر وعمر وأبو عبيدة
يسمعون بهذا النبأ حتى أسرعوا إلى مكان اجتماعهم ، ودار بينهم وبين
الأنصار جدال شديد ونقاش عنيف ؛ فالأنصار يقولون إنهم نصروا
النبي وآووه ، وساعدوه وآزروه ، وكافحوا من أجله ومن أجل الدين
كفاحاً شديداً ، وعلى ذلك يجب أن يظفروا بهذا المنصب جزاء وفاقاً لهم

(١) ذكر ابن قتيبة أن أبابكر قال : والله لئن لشديد الوجع ، ولما أتني منكم يا معشر
المهاجرين أسد على من وجعي . لئن وليت أمركم ولست خيركم في نفسي ، فكلكم ورم أنفه
إرادة أن يكون هذا الأمر له وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت .

على ما بذلوا من جهود . ووقف أبوبكر وعمر يردان على الانتصار للحجة
بالحجة ويدفعان البرهان بالبرهان ، ويدودان عن حق المهاجرين في
الخلافة ؛ فالمهاجرون وهم الذين احتملوا الاضطهاد والعذاب ، وصبروا
وصابروا وضجوا بأنفسهم وأرواحهم في سبيل الدين ؛ وهم يفضلون
الأنصار — كما يزعم أبوبكر — بأسبقيتهم إلى دخول الإسلام .

قال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال عمر : هيات ^(١) لا يجمع
سيفان في غمد واحد : والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم
ولكن العرب لا ينبغي أن تولى هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم ،
وأولى الأمر منهم ، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة ،
والسلطان المبين . من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه
وعشيرته إلا مدل بباطل ، أو متجاف لإثم أو متورط في هلكة .

فأنت ترى أن عمر في كلامه هذا كان أول من أحيا العصية الجاهلية
في نفوس المسلمين . وترى كذلك أن عمر خول نفسه الحق في الكلام عن
العرب بأجمعهم حين يخاطب الأنصار بقوله : « والله لا ترضى العرب أن
تؤمركم ونبيها من غيركم » ، وأمر ثالث تلحظه في كلام عمر وهو أنه جعل
النبي ملكا له سلطان وله ميراث ، وجعل لابن بكر الحق في حيازة هذا
السلطان ، وفي الاستيلاء على هذا الميراث .

ولما كان الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج ، وكان بين هاتين
القبيلتين عداوة شديدة ، وحروب طاحنة في العصر الجاهلي ، خشيت
إحداهما بأس الأخرى إذا خلص لها الأمر ؛ وعلى هذا وافقت

(١) الامامة والسياسة لابن تقيية ص ١٢ طبع مصر مطبعة النيل ١٩٠٤

الأوس على مبايعة أبي بكر وتبعتها الخزرج ، عدا سيدها سعد بن عبادة الذى أهان أبا بكر إهانة شديدة ، بل أهان المهاجرين جميعا . وأبى أن يبايع أبا بكر واعتزل المسلمين ، ورحل إلى الشام فى أيام عمر ومات هناك . وبعد أن تمت البيعة لأبى بكر من الأنصار دخل المسجد فرأى قوما آخرين لا تقل أطماعهم عن أطماع الأنصار . رأى بنى أمية مجتمعين حول عثمان ، وبنى زهرة مع عبد الرحمن بن عوف ، وبنى هاشم مع على بن أبى طالب ، فقال عمر وقد عرف كل ما يحول بخاطر كل منهم : مالكم مجتمعين حلقة شتى ، قوموا فبايعوا أبا بكر ، فقد بايعته وبايعه الأنصار . فقام عثمان ومن معه فبايعوه ، وقام عبد الرحمن بن عوف ومن معه فبايعوه أيضا .

وأما على والعباس ومن معهما من بنى هاشم فانصرفوا إلى بيوتهم ومعهم الزبير بن العوام ، فذهب إليهم عمر فى عصابة ، فقال انطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا ، وخرج الزبير بن العوام بالسيف فقال عمر « عليكم الرجل فتخذوه » ، فوثب عليه واحد من العصابة فأخذ السيف من يده وضرب به الجدار ، وأخذوه وانطلقوا به ، وأرغموه على المبايعة . وذهب بنو هاشم فبايعوا وأخذوا عليا ليبايع فقال « أنا أحق » بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبی صلى الله عليه وسلم ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ، أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة ، وسلوكم الإمارة ؟ فأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على

الأنصار، فنحن أولى برسول الله حيا وميتا . فأنصفونا إن كنتم تؤمنون ،
وإلا فبؤءوا بالظلم وأنتم تعلمون . فقال عمر : لست متروكا حتى تبائع .
فقال له علي : احلب حلبا لك شطره ، وشد له اليوم يردده عليك غدا .
عني بذلك ساعده اليوم في الحصول على الخلافة ليوليك بعده على المسلمين .
ثم قال : « والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعة » . فقال أبو بكر : إن
لم تبائع فلا أكرهك . وتكلم أبو عبيدة بن الجراح ونصح عليا بالمبايعة ،
ولكن عليا قال « الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في
العرب من داره وقرع بيته إلى دوركم وقور بيوتكم » . ثم ما كان منه
إلا أن حمل زوجته فاطمة على دابة وأخذ يطوف بها في مجالس
الأنصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون لها : يا بنت رسول الله قد مضت
ببعتنا لهذا الرجل .

فما تقدم ترى أن عمر سلك طريقا غير رشيد ، فاحتج على الأنصار
بأنهم أسبق الناس إلى الإسلام مع أنه ليست هناك أدنى علاقة بين أسبقية
المرة إلى الإسلام وبين صلاحيته للحكم . ثم إنه احتج عليهم بقرابة
المهاجرين للرسول . ومع ذلك فقد كان واجب العدل يقضي بأن تكون
الخلافة لعلي بن أبي طالب ما دامت القرابة اتخذت سنداً لحيازة ميراث
الرسول . لقد كان العباس أقرب الناس إلى النبي وكان أحق الناس
بالخلافة ، ولكنه تنازل بحقه هذا لعلي . فمن هنا صار لعلي الحق وحده
في هذا المنصب . ثم إن عمر هدد بني هاشم فذهب إليهم في عصابة ، وحمل
الزبير وأرغمه على البيعة كما تقدم ، وكاد يقتل عليا .
أما على فإنه رفض مبايعة أبي بكر مع أنه رأى الأمة كلها قد بايعت ،

فكان واجبا عليه أن ينكر ذاته ، ويسمو بمصلحة الإسلام والمسلمين فوق الاعتبار الشخصية . ثم كان يجب عليه أن يسلم بالأمر الواقع ويذعن لما أذن له غيره من المسلمين .

ومما يؤخذ عليه أيضاً أنه حاول أن يثير نيران الحرب بين المسلمين ، فذهب إلى الأنصار حاملا زوجته على دابة كما أسلفنا سائلا إياهم النصر . ترى ، ماذا كانت حالة الإسلام والمسلمين لو استجاب الأنصار لدعوة علي وقاموا معه في وجه أبي بكر ؟

(٣) الشيخان

والظاهر أن أبا بكر وعمر قد وضعا هذه الخطة وفكرا فيها قبل وفاة الرسول . ثم نفذاهما فيما بعد بدقة وإحكام فكتب لها النجاح والتوفيق . وليس بما يعقل أن يكون قول أبي بكر « نحن الأمراء وأنتم الوزراء الخ » ، وليد الساعة . وأنا أرى أن القوم فكروا في هذا الأمر والرسول لا يزال على قيد الحياة . وربما كان تفكيرهم فيه بعيد غزوة أحد التي تعرض النبي فيها للوئ .^(١) والشيعة تزعم أن النبي عهد إلى علي بالأمر من بعده . وهذا زعم باطل لأن عليا لم يستشهد به على صحة دعواه وسواء أكان الشيخان أبو بكر وعمر وصلا إلى منصب الخلافة بحق أو بغير حق ، فإنهما من غير شك قد خدما الإسلام خدمة لا تقدر ، بقي أثرها إلى اليوم ، وسيدقى إلى ما شاء الله . فلا ينبغي بكر الفضل في تثبيت أقدام الدين في شبه الجزيرة بقضائه على المرتدين ومدعى النبوة .

(١) ذكر ابن قتيبة وغيره من المؤرخين أن العباس لم يعلّق فقال له « إن السيقس فاسأله إن كان الأمر لنا بينه وإن كان لغيرنا أوصى بنا خيرا » ولكن عليا لم يسأل النبي عن ذلك .

وما كاد ينتهى من ذلك حتى وجه العرب نحو الغزو والفتح ، قرتب على ذلك أن خرج المسلمون مجاهدين فى سبيل الله ففتحوا فارس والشام . ثم مات أبو بكر ؛ واعتزافا منه بفضل عمر عليه فى الوصول إلى مقعد الحكم عهد إليه بالخلافة من بعده . والظاهر أن أبا بكر كان قد وعد عمر بهذا فبر بوعده . وفى أيام عمر تم فتح الشام والاستيلاء على مصر وغنم المسلمون غنائم جمّة . ولعل من الصواب أن نقول إن عمر كاد يقف بالفتوح عند فارس وبلاد الشام . لقد تردد كثيرا فى فتح مصر . وأخيرا بعد إلحاح شديد من عمرو بن العاص وافق على إرسال جيش صغير واشترط على عمرو أنه سيرسل إليه خطابا إن وصله وهو خارج الحدود رجع ، وإن وصله وهو داخل الحدود تقدم وطلب العون . ولما كان ابن العاص مخلصا فى الجهاد فى سبيل الله فقد أخفى رسالة عمر التى وصلته وهو خارج حدود مصر ، ولم يفتحها إلا بعد أن أوغل فى الديار المصرية . ثم إن عمر فعل فعلة سياسية جريئة وهى عزله خالد بن الوليد من قيادة الجيوش العربية فى الشام فى أثناء اشتداد المعركة بين المسلمين والروم . لقد كان هذا العمل جديرا بأن يقضى على وحدة المسلمين ويؤدى إلى انهزامهم الشليح أمام الأعداء . ولكن خالد بن الوليد أثبت أنه رجل كبير العقل والنفس ، فوضع مصلحة الإسلام فوق كل اعتبار ، وأخفى نبأ عزله حتى إذا ما تم النصر للمسلمين سلم القيادة إلى أبى عبيدة بن الجراح وقبل أن يعمل تحت إمرته .

ومع كل ما قدمنا فإن هذين الشيخين لا يستحقان تلك المطاعن الكثيرة التى كالحا لها شعراء الشيعة بغير حساب . لقد كانت أيام حكمهما

من أسعد الأيام التي مرت على المسلمين وكان عصرهما من خير عصور الإسلام . فإذا ما ذكرنا اسميهما وجب علينا ان ننحني لإجلالا واحتراما لهما ، فإنهما جديران بكل تقدير . ولكن شعراء الشيعة لم ينظروا إلى المصلحة العامة ، بل نظروا إلى المصلحة الخاصة ، مصلحة على ، فلبثوا أشعارهم بالشتائم والسباب ، وألصقوا بهما كثيراً من المثالب والنقائص بل رموهما بالكفر والخروج على الدين . من أمثلة ذلك ما روى أن المهدي جلس يوماً لتوزيع الأ عطية على من يستحقها من المسلمين ، وكان في المجلس نفر من آل الخطاب ينتظرون نصيبهم من العطاء ، وبينما القوم جلوس إذ دخل الخادم على المهدي يحمل إليه رسالة فلما فتحها وجد بداخلها قصيدة بعث بها إليه السيد الحميري جاء فيها :

قُلْ لابنِ عباسٍ سَمِيَّ مُحَمَّدٍ	لَا تُعْطِيَنَّ بَنِي عَدِيٍّ دَرَهْمًا
أَحْرَمَ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مِرَّةٍ لِنَهْمٍ	شَرُّ الْبَرِيَّةِ أَوَّلًا وَمُقَدَّمًا
مَنْعُوا تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامَهُ	وَابْلِيَهُ وَابْلَتَهُ عَدِيلَةَ مَرِيَمًا
وَتَأْمُرُوا مَنْ غَيْرُ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا	وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هَذَا مَا ثَمًا
لَمْ يَشْكُرُوا مُحَمَّدًا لِنِعَامِهِ	أَفَيْشَكُرُونَ لغيرِهِ أَنْ أَنْعَمًا
وَاللَّهُ مَنْ عَلَيْهِمْ بِمُحَمَّدٍ	وَهَذَا هُمْ وَكَسَا الْجُنُوبَ وَأَطْعَمًا
ثُمَّ انْبَرَوْا لِوَعِيهِ وَوَلِيَّهِ	بِالْمُنْكَرَاتِ فِجْرَعُوهُ الْعَلَقَمًا

قال صاحب الأغاني : وهي ^(١) قصيدة طويلة حذف باقيها لقبح

بما فيه فلما قرأها المهدي أمر بقطع العطاء ، فقطعه وانصرف الناس ودخل السيد إليه ، فلما رآه ضحك وقال « قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ^(١) ولم نعطهم شيئا » .

(٤) عثمان

كان من سوء حظ المسلمين أن انتخب عثمان بن عفان خليفة ، فلم يكن له من الصفات ما يجعله أهلاً لهذا المنصب الخطير . حقا ! لقد جاهد عثمان في سبيل الله جهادا مشكورا وضحى بكثير من أمواله لإعلاء كلمة الدين ، ولكنه لم يكن صالحا للحكم . لقد سلم زمام المسلمين إلى قومه الأمويين الذين حاربوا الإسلام بكل ما استطاعوا من حول وطول ، واضطهدوا النبي وآذوه هو وأصحابه ولم يدخلوا في الإسلام إلا مرغمين . أجل ! لقد أعظمهم عثمان ^(٢) مقاليد الأمور وتركهم على هواهم فتصرفوا في أموال المسلمين كيف شاءوا دون رقيب أو حسيب ، ونهبوا ما استطاعوا لا ضمير يؤنبهم ولا دين يردعهم ولا رئيس يؤاخذهم .

ثم إن عثمان عين على الأقاليم ولادة عرفوا بسوء السيرة واشتهروا بالفسق والفجور . ومن هؤلاء الحكام الوليد بن عقبة الذي بعثه عثمان حاكما على العراق . لقد شرب وأفرط في الشراب ، ثم ذهب إلى المسجد لأداء صلاة الصبح فصلى بالناس أربع ركعات ثم التفت إليهم وقال : أزيدكم ؟ وتقياً في المحراب ، وقرأ في الصلاة وهو رافع صوته :

علق القلب الربابا بعد ماشابت وشابا

(١) هو السيد الحيدري . (٢) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٤٥

فقدم رجل المدينة وأخبر عثمان بما حصل من الوليد فما كان من
عثمان إلا أن ضرب الرجل ، فقال الناس : عطلت الحدود وضربت الشهود .

قال صاحب الأغاني ^(١) : خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان
في أمر الوليد فقال : أكلنا غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل !
لئن أصبحت لكم لأنكن بكم . فاستجاروا بعائشة ، وأصبح عثمان فسمع
من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة ، فقال : أما يجد مراق أهل
العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة ؟ فسمعت عائشة فرجعت نعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : تركت سنة صاحب هذه النعل
فتسمع الناس بقاءوا حتى ملثوا المسجد ، فمن قائل : أحسنت ، ومن قائل :
ما للنساء ولهذا ، حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال ، ودخل رهط من أصحاب
رسول الله (ص) فقالوا له : اتق الله واعزل أخاك ^(٢) عنهم فعزله .

فيلاحظ القاريء بما تقدم أمورا منها أن عثمان بن عفان اعتبر وقد
العراق فساقا ومراقا ، ثم إنه جعل بيت رسول الله أو بيت عائشة
أم المؤمنين ملجأ لهؤلاء الفساق والمراق . فهذا البيت في نظر عثمان
مكان للمروق والخروج ! والأمر الثالث الذي يلاحظه القاريء أن
عائشة صرحت بأن عثمان ترك سنة رسول الله فتكأثر الناس وتحاصبوا
وتضاربوا بالنعال . فكان عثمان بتركه سنة رسول الله مستحقا للعزل .
ولما طلب المسلمون منه ذلك وألحوا عليه مرارا رفض وأبى وأمعن

(١) الأغاني جزء ٥ ص ١٣٠ طبع دار الكتب .

(٢) كان الوليد بن عقبة أخا عثمان من الرضاع .

في الرض والإباء ، فلم يجد القوم بدا من قتله . قتل عثمان لما قدمنا من أسباب ، ولأسباب أخرى لا يتسع المجال لشرحها .

(٥) على .

بعد مقتل عثمان انقسم المسلمون إلى ثلاثة أحزاب ، هي :
عثمانيون وهم الذين طالبوا بدم عثمان وكانوا فرقتين : الفرقة الأولى ،
بزعامة معاوية ، والثانية بزعامة طلحة والزبير .

أما الحزب الثاني فهم العلويون أنصار علي بن أبي طالب .
وبعد قليل ظهر حزب ثالث وهو حزب الخوارج .
ثم أخذت هذه الأحزاب ينقسم بعضها على بعض حتى أربى عدد
فرقها على السبعين ، وإنك لتجد ذلك واضحاً جلياً في كتاب الملل
والنحل للشهرستاني .

(٦) خطر الموقف

اجتمع فريق من المسلمين وبايعوا علياً . وكان أول من بايعه الأشتر
النخعي أحد قواد جيشه . ولكن علياً وجد أن عدداً كبيراً من يعتد
برأيهم من الصحابة غير راضين عنه . فدعا طلحة والزبير لمبايعته فتلكأ
طلحة فهدهد الأشتر النخعي بالقتل فأذعن وبايع . وجيء بسعد بن
أبي وقاص وعبد الله بن عمر لبايعا فامتنعا . وتخلف عن البيعة من
الأنصار كثيرون منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة ابن
مخلد ، وأبو سعيد الخدري ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد

ابن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عمرة . وكان هؤلاء يميلون إلى عثمان لما كان يسبغه عليهم من أموال .
ثم إن عائشة زوج النبي انضمت إلى جانب أعداء علي ، وأخذت تحرض الناس عليه ، وتشجعهم على محاربته .

وجد علي نفسه أمام أعداء أقوياء من الشرق ومن الغرب ، فقد خرج طلحة والزبير إلى العراق ، وكان معهما جيش كبير وخرجت معهما عائشة أم المؤمنين . وهنا يلاحظ القارئ موقفين متناقضين لعائشة ، الموقف الأول كان ضد عثمان الذي ترك سنة رسول الله كما تقدم آنفا .

والموقف الثاني خروجها مع طلحة والزبير إلى العراق ، وانضمامها إلى صفوف الذين يطالبون بدم عثمان ١١

لاشك في أن عائشة أصابت في موقفها الأول ، ولكنها في رأي أخطأت خطأ عظيماً في الثاني ، فبما كان لنساء النبي أن يخرجن من بيوتهن على هذه الصورة . ترى ما الذي دفعها إلى الذهاب إلى العراق مع طلحة ، والزبير ؟؟ وما الذي حملها على تحريض الناس على محاربة ابن عم الرسول ؟ أصبح أنها كانت تريد الثأر لعثمان ؟

استطاع علي أن يوقع بطلحة والزبير هزيمة شنيعة فيوقعة الجمل التي قتل فيها طلحة والزبير ، وخسر فيها الفريقان خسارة كبيرة . ثم عامل علي عائشة معاملة حسنة وردها إلى المدينة معززة مكرمة .

سم فرغ بعد ذلك لمعاوية ، وتقابلت جيوشهما في صِفِّين . وهناك دارت رحى الحرب بين الفريقين واستمرت أكثر من ثلاثة أشهر خسر فيها الفريقان خسارة فادحة . ولما رأى معاوية أن الهزيمة توشك أن تلحق به ، استشار عمرو بن العاص في الموقف فأشار عليه برفع المصاحف على أسنة الحراب ، وطلب تحكيم كتاب الله . فحاول على أن يحمل جنده على مواصلة القتال حتى النهاية ، ولكنهم رفضوا فاضطر إلى قبول التحكيم . ولما انتهى أمر الحكّمين بتثبيت معاوية وخلع على ، أراد على معاودة القتال ، ولكن فريقا من أتباعه رأوا أنه كفر بقبول التحكيم وطلبوا منه أن يعترف بذلك ويتوب ولكنه رفض طلبهم ، فخرجوا عليه وسموا بالخوارج . وقد قاتلهم وشتت شملهم في وقعة النهروان . ثم رجع من حرب الخوارج وأخذ يبحث أنصاره على النهوض معه لقتال معاوية ، ولكنهم كانوا يعتذرون بمختلف المعاذير ليبرروا عدم قدرتهم على القيام معه . وبقي يخطب فيهم على غير جدوى حتى قتل .

لقد أخفق على إخفاقا مبينا لأنه كان في العراق حيث القبائل البدوية التي لا تعرف الطاعة ولا النظام بخلاف معاوية الذي كان بالشام يسيطر على جنود يدينون له بالطاعة والولاء .

ثم إن عليا كانت تنقصه صفات لا بد من توافرها في كل سياسي ناجح من مكر ودهاء وخداع وشراء للأنصار بالمنح والصلوات إلى غير ذلك مما لم يتوافر فيه

ولم يكن حظ ابنه الحسن بأفضل من حظ أبيه ، فقد مات مسموماً ،
 وحدث أن عهد معاوية بالخلافة من بعده لابنه يزيد ، فغضب كثير من
 المسلمين وثاروا عليه . وخرج الحسين إلى العراق فقابلته جيوش يزيد
 عند كربلاء . ولم يخفَ أهل العراق لنجدته ، فحصر هو وأصحابه ثم هجم
 عليهم أعداؤهم فاستشهدوا جميعاً ولم ينج إلا طفل صغير هو علي بن
 الحسين الملقب زين العابدين والساء اللاتي كن مع الحسين .

(٧) خاتمة

هذا البحث الذي سقناه عن الخلافة لابد لنا منه . فالتشيع مذهب
 سياسى يقوم على أركان أهمها منصب الخلافة ولمن يكون .
 ولقد رأينا أن القوم بشر مثلنا ، لهم حسنات ولهم سيئات . وقد كان
 يخطئ بعضهم بعضاً ويسب بعضهم بعضاً . وإذا كان التعرض لهؤلاء
 الناس بالنقد كفرًا فما الحكم على عائشة وقد قالت : « اقتلوا نعثلاً »^(١) لعن
 الله نعثلاً ، وخرجت إلى العراق وخطبت كثيراً وحرضت الناس على
 قتل علي وأبنائه ، وسأقت إليهم الشتائم والسباب ؟ وما الحكم على علي
 وقد رأينا موقفه من أبي بكر وعمر ؟

الظاهر أن النقد للصحابة كفر إذا كان ذلك منا ، أما إذا تعرض
 بعض الصحابة لبعض كما مر بنا بالسب واللعن فهذا ليس بكفر . ذلك
 رأى كثيرين . أما أنا فلا أذهب إلى ما يذهبون ولا أرى ما يرون .

(١) يزيد عثمان بن عفان .

لقد تنازع القوم على منصب الخلافة تنازعا قل أن تجد له مثيلا في الأمم الأخرى ، وارتكبوا في سبيل ذلك ما تتعفف نحن عن ارتكابه الآن . فترتب على ذلك أن أزهقت أرواح ودمرت مدن ، وهدمت قرى وأحرقت دور ، وترملت نساء ، وتيتمت أطفال ، وهلك من المسلمين خلق كثير . ومع ذلك نجد الكتاب والمؤرخين إذا تناولوا هذا العصر أسبغوا على هؤلاء القوم ثوبا من الإجلال والتقديس وجمعوا حول سيرهم الكثير من الأساطير والخرافات ، ووضعوا لهم المناقب واختلقوا الأحاديث ، حتى إن الناس لم يجرؤوا على تناول الأحداث الجسام التي وقعت في هذا العصر بروح النقد النزيه والتمحيص العلى ، وذلك لما أصابهم من الخوف والوجل إذا هم تعرضوا لأمثال هؤلاء الرجال . فقد رسخ في الأذهان أن التعرض لهم كفر صريح ، وخروج على الدين الحنيف .

الفصل الثاني

فرق الشيعة

اختلف الشيعة فيما بينهم بعد وفاة علي بن أبي طالب . وكان أساس اختلافهم تعيين الأئمة . فمنهم من قال إن علياً نص على إمامة ابنه محمد بن الحنفية ، وهؤلاء هم الكيسانية . ومؤسس هذه الفرقة هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي استطاع أن يثار للحسين وينكل بمن حاربوه أو اشتركوا في قتله . ثم بسط سلطانه على بلاد العراق والجزيرة وفارس وأرمينية ودعا الناس إلى مبايعة محمد بن علي الملقب ابن الحنفية ، وأمه تسمى خولة من بني حنيفة ، واستدل المختار على إمامة ابن الحنفية بأن علياً دفع إليه اللواء يوم الجمل . ويقال إنه أخذ مذهبه هذا من كيسان مولى علي ، وقيل إن كيسان هذا لقب المختار . وكان محمد بن الحنفية في ذلك الوقت مقيماً في مكة فقبض عليه ابن الزبير وحبسه مع نفر من شيعته في سجن عارم . ولما بلغه أن جيشاً من أنصار ابن الحنفية يعد العدة للهجوم على السجن وتخليص من فيه ، أمر بوضع الخشب وإشعال النيران في السجن . وفي تلك اللحظة التي اشتعلت فيها النيران وصل نفر من أنصار ابن الحنفية واستطاعوا أن ينقذوه . وقد مات محمد بن الحنفية سنة ٨١ هـ وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وكان إلى المدينة ودفن بالبقيع . وبموته انقسم الكيسانية إلى فرقتين : الفرقة

الأولى أصحاب أبي كرب الضرير وقد عرفت بالكركية . وهذه الفرقة تزعم أن محمد بن الحنفية حتى لم يمت وأنه مقيم بجبل رضوى وعن يمينه أسد وعن يساره نمر وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل يأخذ منهما رزقه . وأنه سيخرج من هذا الجبل ويعود إلى الدنيا فيملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وأنه هو المهدي المنتظر . وفكرة الرحمة هذه ظهرت بين المسلمين لأول مرة عند وفاة الرسول ، وكان أول من تكلم بها عمر بن الخطاب إذ قال إن الرسول لم يمت ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وإنه سيرجع كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات . وكان ينتمى إلى هذه الفرقة من الشيعة الشاعران الكبيران كثير والسيد الحميري ؛ فقد كان كل منهما يدين بإمامة محمد بن الحنفية ويؤمن بالرجعة ؛ وقد قالوا في ذلك شعرا كثيرا تراه في موضعه من هذا الكتاب .

أما الفرقة الثانية فقالت بوفاة ابن الحنفية ونقلت الإمامة بعده إلى ابنه أبي هاشم . وقد انشعبت هذه الفرقة بسبب الاختلاف في اختيار الإمام إلى شعب كثيرة .

وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية فقد جعل الإمامة في الحسن والحسين . واختلفوا فيما بينهم اختلافا كبيرا . فمنهم من أجراها في أولاد الحسن فقال بعده بإمامة ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم أخيه إبراهيم . ومحمد وإبراهيم خرجا على المنصور ، ودارت بين محمد والمنصور مكاتبات بشأن أحقية كل منهما في الخلافة ، فكتب المنصور

إلى محمد بن عبد الله بعد خروجه يعرض عليه الأمان فرد عليه محمد بخطاب طويل أتينا به في غير هذا الموضع من الكتاب فلما قرأه المنصور ، استدعى الكتاب ليردوا على محمد بن عبد الله ثم بدا له أن يرد بنفسه فأملى رسالة طويلة أثبتناها عند الكلام على أثر التشيع في النثر . وقد انهزم محمد وأخوه إبراهيم وقتلا شر قتلة .

ومن الشيعة من أجرى الوصية في أولاد الحسين وقال بعده بإمامة انه على رين العابدين نصا عليه ، تم اختلفوا بعده فمنهم من قال بإمامة ابنه زيد وهؤلاء هم الزيدية وهم موجودون حتى أيامنا هذه في بلاد اليمن . ومنهم من قال بإمامة محمد بن علي الباقر نصا عليه ، ثم بإمامة جعفر بن محمد وصية إليه وهؤلاء هم الإمامية . تم اختلفوا بعده في أولاده من المنصوص عليه . وهكذا ظل الشيعة ينقسمون إلى فرق كثيرة . ومن أشهر الفرق الباقية إلى اليوم الإمامية الاثنا عشرية . وإليها كان ينتمى الشاعران الكبيران الشريف الرضى وتلميذه مهيار الديلمي . ومن الفرق العظيمة فرقة الإسماعيلية وهي مازالت إلى عصرنا هذا منتشرة في بلاد الهند وزعيم هذه الفرقة أغاخان الذي يقضى معظم وقته في أوربا

وللشيعة معتقدات غريبة في الأئمة فهم يضعونهم في منزلة الآلهة ، ويسندون إليهم العصمة ، ويغفلون في ذلك غلوا كبيرا . أنظر إلى ابن هانيء الأندلسي حيث يقول في مدح المعز لدين الله الفاطمي .

أتبعته فكرتى حتى إذا بلغت غاياتها بين تصويب وتصعيد
رأيت موضع برهان يلوح وما رأيت موضع تكليف وتحديد

قال ابن أبي الحديد^(١) « وهذا مدح يليق بالخالق تعالى ولا يليق بالخلقين ، وهم يرون أن طاعة الإمام من طاعة الله فهي ركن من أركان الدين وأساس من أسس الإيمان ، لا فرق بينها وبين أية فريضة من الفرائض . كما يرون أن الإمام هو الذى يشمع لأمره فبه نجاته ، وليس للأتسان ملجأ سواه . هو الذى يحيط عنهم ذنوبهم وخطاياهم ، ويخلصهم من الإصر والأوزار . قال ابن هاني :

فَرَضَانِ مِنْ صَوْمٍ وَشُكْرِ خِلَافَةٍ هَذَا بِهَذَا عِنْدَنَا مَقْرُونُ
فَارْزُقْ عِبَادَكَ مِنْكَ فَضْلَ شِفَاعَةٍ وَاقْرُبْ بِهِمْ زُلْفَى فَأَنْتَ مَكِينُ
لَكَ - حَمْدُنَا لَا أَنَّهُ لَكَ مَفْخَرُ مَا قَدَّرَكَ الْمَشُورُ وَالْمَوْزُونُ
قَدْ قَالَ فِيكَ اللَّهُ مَا أَنَا قَائِلُ فَكُنْ كُلَّ قَصِيدَةٍ تَضْمِينُ

وقال من قصيدة أخرى :

هَذَا الَّذِي تُرَجَى النَّجَاةُ بِحُبِّهِ وَبِهِ يُحِطُ الْإِصْرُ وَالْأَوْزَارُ
هَذَا الَّذِي تُجَدَى شِفَاعَتُهُ غَدَا حَقًّا وَتَحْمُدُ أَنْ تَرَاهُ النَّارُ
مِنْ آلِ أَحْمَدَ كُلُّ فَخْرٍ لَمْ يَكُنْ يُنَمَى إِلَيْهِمْ لَيْسَ فِيهِ فَخَارُ

ومنها :

أَبْنَاءُ فَاطِمَ هَلْ لَنَا فِي حَشْرِنَا لَجَاءُ سِوَاكَمِ عَاصِمُ وَنَجَارُ
أَنْتُمْ أَحِبَاءُ الْإِلَهِ وَآلِهِ تُخَلِّفَاؤُهُ فِي أَرْضِهِ الْإِبْرَارُ
أَهْلُ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ وَأَهْدَى فِي الْبَيِّنَاتِ وَسَادَةُ أَطْهَارُ

(١) شرح ابن أبي الحديد جزء ١ ص ٢٠ طبعة الحلبي .

— ٢٠ —

والوحي والتأويل والتحريم والتحليل لاخلف ولا إنتكار
 إن قيلَ من خير البرية لم يكن إلاكم خلقٌ إليه يُشارُ
 لو تلمسون الصخرَ لا تَبْجَسَتْ بِهِ وَتَفَجَّرَتْ وَتَدَقَّقَتْ أَنْهَارُ
 أَوْ كَانَ مِنْكُمْ لِلرُّفَاتِ مُحَاطِبٌ كَبُوا وَظَنُوا أَنَّهُ إِنْشَارُ
 ويرى الشيعة أن الإمام من نور الله .

قال ابن هاني :

وما سار في الأرض العريضة ذكره ولكنه في مسلك الشمس سالك
 وما كنه هذا النور نور جبينه ولكن نور الله فيه مُشَارِكُ
 ويعتقدون أن حب علي وآله كافٍ لمحو أكبر الذنوب ؛ فكان منهم
 من يشرب الخمر فإذا لامه أحد على ذلك أجاب بأن حب عليّ كفيل بأن
 يضع أعظم وزر عن عاتق مرتكبه ؛ وفي ذلك يقول أحد شعرائهم .
 حُبُّ عَلِيٍّ فِي الْوَرَى جُنَّةٌ فَاحِ بِهَا يَارَبُّ أَوْزَارِي
 لَوْ أَنَّ زَيْمِيًّا تَوَى جَبْهَهُ حُصِّنَ فِي النَّارِ مِنَ النَّارِ
 وهم يقولون إن لكل نبي وصيًا وإن محمداً خاتم الأنبياء وعلياً
 خاتم الأوصياء .

وقد سرى كثير من عقائد الشيعة إلى سائر الفرق الإسلامية ،
 فأصبح المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يؤمنون بالمهدي المنتظر .
 أخذ الصوفيون هذه الخرافة ووضعوها في قالب جديد ، فسموا المهدي

قطبا وقالوا عنه «إنه»^(١) يدبر الأمر في كل عصر، وهو عماد السماء ولولاه لوقعت على الأرض . ولهذا القطب مساعدون يسمون بالنقباء لهم في زعم المتصوفة قدرة فائقة على استخراج ما تكنه النفوس وما تخفيه الأرحام . قد كشف عنهم الحجاب ، فأصبحوا يعرفون من إبليس ما لا يعرفه عن نفسه ، ويقول رجال الطرق^(٢) الصوفية إن الأشياء سلم الطريق ، لأن الطريق سماء لا يتوصل إليها إلا بالسلم ، والأشياء واسطة بين المرء وربّه .

وفي مصر نرى كثيرين يعتقدون بوجود شخص يسمى الخضر ، ويسندون إليه من الخوارق والمعجزات ما لم يستد الأنبياء من قبل ، ويقولون إنه لن يموت إلا عند قيام الساعة . والعامّة معذورون عندنا لأن رجال الدين لا يكافون مثل هذه الخرافات .

ولما كانت الإمامة ركنا من أركان الإيمان عند الشيعة ، وكانوا يعتقدون بإمامة عليّ بالنص ، ترتب على هذا أن يكون حب عليّ أساسا من أسس الإيمان . وقد ساقهم هذا إلى تكفير كل من فإوأ عليا أو نازعه في هذا الحق . قال بذلك معظم فرق الشيعة عدا قليل منهم ، فإنهم لم يحكموا على من خالف عليا بالكفر والخروج عن الدين . فأما الأولون وهم الغلاة فقد كفروا أبا بكر وعمر وعائشة وغيرهم ، وبالغوا في ذلك حتى جعلوا لعنهم قربة إلى الله . ومن هنا نستطيع أن نفهم المطاعن الكثيرة التي زخر بها الأدب الشيعة في حق الخلفاء الأولين ،

(١) الفتوحات المكية لابن العربي ح

(٢) كتاب المنهج الخفيف لأحد الصوفيين — مخطوط .

فقد كان السيد الحميري وابن الحجاج ومهيار الديلمي يكثرُونَ من سب هؤلاء القادة وهم يرون في ذلك ما يقربهم من الله وما يضمن لهم الجنة التي أعدت للبتقين .

وقد اعتاد أعداء الشيعة أن يطلقوا على كل من عرف بتشيعه كلمة « رافضي » والحق أن الرافضة فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي بن الحسين ، ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين (أبي بكر وعمر) نقاتل معك ؛ فأبى وقال : كنا وزيرى جدى ، فلا أبرأ منهما ؛ فتركوه ورفضوه ورفضوا عنه فسموا الرافضة ^(١) لذلك .

ومن هذا يتضح أن الرافضى هو الذى يرفض أبا بكر وعمر ، ولا يرى لأحد حقا فى الخلافة سوى على . إلا أن كلمة رافضى كانت تطلق تشفيا وانتقاما من كل من أبدى حبا لآل على . قال الإمام الشافعى :
 إِنْ كَانَ رُفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الشَّقْلَانِ أَيْ رَافِضِي
 وقال :

بَرِئْتُ إِلَى الْمُهَيْمِنِ مِنْ أَنْاسِي يَرَوْنَ الْوُفْضَ حُبَّ الْفَاطِمِيَّةِ
 عَلَى آلِ الرَّسُولِ صَلَاةُ رَبِّي وَلَعْنَتُهُ لَتَكَّ الْجَاهِلِيَّةِ

(١) انظر القاموس وشرحه فى مادة (رفض) .

الفصل الأول

في النثر

(١) الخطابة

لما قام الخلاف بين علي ومعاوية شرع كل منهما يخاطب في جنوده وأنصاره محمضا لإيادهم على القتال والكفاح ، فراجت سوق الخطابة رواجاً عظيماً ، وارتفع شأنها إلى درجة لم يسبق لها مثيل ، وكثر الخطباء في كل قطر من علويين وأمويين وخوارج ، كل يؤيد وجهة نظر الحزب الذي يلتصق إليه ، وكل يحرص على أعدائه ويطعن فيهم ويرميهم بكل نقيصة . نهضت الخطابة في كل صقع : في الشام وفي العراق وفي مصر وفي الحجاز وفي اليمن . وامتاز أسلوبها بالقوة والمتانة وكثرة الاستشهاد بالقرآن والحديث والاقتباس من الشعر والأمثال فضلاً عن البراهين والأدلة التي يسوقها كل خطيب ليدعم بها رأيه ويؤيد مذهبه . وكانت الخطب ، ولا سيما خطب العلويين تفيض بالعواطف وتزخر بالحساسة وتطفح بالتحريض على القتال والنزال . فيها تهديد بغضب الله على كل من يتخلف عن الجهاد وفيها ترغيب بدخول الجنة لمن يحاهدون ويكافحون . وقد بلغت في الطول درجة لم تصل إليها من قبل .

ومن أشهر خطباء ذلك العصر الإمام علي الذي امتاز بمضاء لسانه ، وعلو بيانه ، وقوة منطقته ، وسطوع حجته ، ومواتاة البلاغة له في خطبه

الناس ويتركونهم حتى تنبعث منهم الروائح الكريهة ، ثم يحرقونهم
ويذرونهم في الهواء . وسب الأمويون عليا على المنابر واخترعوا له
المثالب والنقائص . وحرموا على الناس ذكر اسمه أو اسم أحد من
أبنائه كما حرموا على الناس أن يسموا أبناءهم عليا أو حسنا أو حسينا .
ثم جاء دور بني العباس ، وكانوا للعلويين أشد كرها ، وأعظم
بغضا ، فأمنوا فيهم قتلا وحرقا ، واضطهادا وتعديبا ، فأمر المنصور
فحمل إليه من المدينة كل من كان فيها من العلويين مقيدين بالسلاسل
والأغلال ، ولما وصلوا إليه وكان بالهاشمية ، حبسهم في سجن مظلم
لا يعرف فيه ليل من نهار . وكان إذا مات واحد منهم ترك معهم .
وأخيرا أمر بهدم السجن عليهم . وفي ذلك يقول أحد شعراء الشيعة :
والله ما فعلتُ أميةً فيهمُ معشَرَ ما فعلتُ بنو العباسِ
وقال أبو فراس :

مانال منهم بنو حرب وإن عظمتُ تلك الجرائمُ إلا دون تيلكمُ
وقال الشريف الرضي :

ألا ليس فعلُ الأولين وإن علا على قبحِ فعلِ الآخرينِ يزأيدُ
وقد بالغ الرشيد في التشكيل بالعلويين . ولم يخف الضغط عليهم
إلا حين ضعفت الخلافة العباسية وأصبح السلطان الفعلي في الممالك
الإسلامية للترك والديلم وبني حمدان .

كل هذه النكبات قد أثرت تأثيرا كبيرا في الأدب الشيعي نثره
وشعره . ولما مبنون ما تركته من أثر في دولة النثر أولا ثم في دولة
الشعر ثانيا .

الباب الثاني

مقدمة

التشيع والأدب

جاء الأدب الشيعي صورة صادقة لما وقع على العلويين من اضطهاد . فقد قتل عليّ ، وأصبح آلُه يُستدلون ويُضامون ، ويُقصون ويمتهنون ، ويحرمون ويقتلون ، ويخافون ولا يأمنون على دمائهم ودماء أوليائهم . فقتل أنصار علي في كل قطر وكل مصر في عهد معاوية ، وعذبوا تعذيباً مرا ، قطعت منهم الأيدي والأرجل على الظنة . من ذكر بحب آل عليّ سجن أو نهب ماله أو هدمت داره . وكان البلاء يشتد على العلويين يوماً بعد يوم . فقتل الحسين على صورة مؤلمة في كربلاء ، ثم جاء الحجاج فبطش بهم بطش عزيز مقتدر حتى أصبح اتهام الرجل بالزندقة والكفر أهون عليه بكثير من اتهامه بحب آل عليّ . فقد أقتن الأمويون في طرق الإعدام ، فن دُفِن للناس وهم أحياء ، إلى صلب على جذوع النخل ، إلى حرق ، إلى حبس ومنع الهواء والأكل والماء عن المحبوس حتى يقضى نحبه جوعاً وعطشاً . كانوا يرتكبون هذه الآثام في وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً فيقطعون رأس الابن أو الزوج ويعثون بهذا الرأس إلى الأم أو الزوجة ويلقونه في حجرها . وكانوا يصلبون

وكتبه ورسائله وسوانح حكمه وجوامع كلمه . قال الشريف الرضى في مقدمة نهج البلاغة يصف عليا : « كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومُنشأ البلاغة ومَوْلدها ، ومنه عليه السلام ظهر مَكْنُونُهَا وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أَمْتَلته هذا كلُّ قائلٍ وخطيب ، وبكلامه استعان كلُّ واعظٍ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا ، وقد تقدّم وتأخروا ، لأن كلامه عليه السلام الكلام الذى عليه مَسْحَةٌ من العلم الإلهي ، وفيه عِبْقَةٌ من الكلام النبوي . » ومن بليغ خطبه قوله .

« أما بعد ، فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباسُ التقوى ، ودرعُ الله الحصينة ، وجُتَّةُ الوثيقة . فمن تركه رغبةً عنه ، ألبسه الله ثوبَ الذلِّ ، وشَمَله البلاء ، ودُبِثَ بالصغار والقباهة ، وضرب على قلبه بالإسهاب ، واديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومُنِعَ النَّصَف . ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، سرا وإعلانا ، وقلت لكم اغزوه قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا فتواكتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات ، ومِلِكْت عليكم الأوطان . وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسانَ البكرى وأزال خيلكم عن مسالحها . ولقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة فينتزعُ حُجْلَهَا^(١) وَقُلْبَهَا^(٢) ، وقلائدَها ورُعَّتْهَا^(٣) ، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع^(٤) والاسترحام ، ثم انصرفوا وأفرين ، ما نال رجلا منهم كلمٌ ، ولا أريق لهم دم . » وهى طويلة يراها القارىء في كثير من

(١) المحل بالكسر الحلال . (٢) السوار .

(٣) واحدة رعة الفصح وهو الفرط . (٤) تردد الصوت بال بكاء .

كتب الأدب لا سيما البيان والتبيين للجاحظ والكامل للبرد . وأنت ترى أن عليا بدأ خطبته بالترغيب في الجهاد الذى هو باب من أبواب الجنة وطريق يؤى إلى النعيم المقيم ، وترك هذا الجهاد يسوق الناس إلى الذل والعبودية . ثم أخذ يستنفر قومه إلى الحرب فذكر أن عسكر أخى غامد قد دخلت الأنبار واركتبت فيها من الجرائم شيئا كثيرا . قتلت الرجال وحرقت الدور ودمرت الأحياء . ثم وضع على يده على أهم ما يثير العربى وهو العرض فأخبرهم أن الرجل من هؤلاء الغزاة كان يدخل على المرأة فيسلبها حليها وينصرف آمنا مطمئنا .

أما الأمويون فكانوا يملئون خطبهم بالشتائم والسباب والمطاعن والمثالب فى على وآل بيته . وكان الخطباء فى المساجد يحتمون خطبة الجمع بلعن على^(١) والترحم على عثمان والاستغفار له ، وإطراء شيعته . روى الطبرى أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فى جمادى سنة ٤١ هـ ، دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ... « أردت إيصاءك بأشياء كثيرة ، فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضينى ويسعد سلطانى ، ويصلح به رعيتى ، ولست تاركها إيصاءك بخصلة ، لا تتعم^(٢) عن شتم على^(٣) وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب على والإقصاء لهم وعدم الاستماع منهم ... »^(٤) قال الطبرى « إن المغيرة أقام عاملا على الكوفة لمعاوية سبع سنين وأشهرها وهو من أحسن شىء سيرة وأشد حبا للعافية ، غير أنه لا يدع ذم على^(٥) والوقوف فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه . »

(١) لا تنح .

(٢) تاريخ الطبرى ٦ ص ١٤١ طبع أوروبا .

(٢) الرسائل

ظهر أثر التشيع واضحاً جلياً في الرسائل التي تبودلت بين عليٍّ ومعاوية وبين الحسن ومعاوية وبين زينب بنت عليٍّ وبين يزيد ، وبين محمد بن عبد الله وبين المنصور ، وبين غير هؤلاء من علويين وأمويين أو علويين وعباسيين . وقد امتازت هذه الرسائل بطولها ، وبقوة أسلوبها ومثانة تركيبها . ترى فيها الحجج القوية ، والبراهين الساطعة ، والأدلة الواضحة التي يأتي بها كاتبها تأييداً لما يقول ، وطعناً على صاحبه واسقاطاً لما يدعى في الخلافة ، وإظهاراً لنقائص الخصم ومثالبه . فيها ترغيب وتهديد ، ووعد ووعد .

وامتازت هذه الرسائل كذلك بكثرة الاقتباس من القرآن والحديث والحكم والأمثال والشعر . ومن أمثلة ذلك أن المنصور بعث رسالة إلى محمد بن عبد الله بالمدينة ، وكان قد خرج عليه ، وأعلن الحرب ضده — يرغبه ويرهبه ، وينذره عاقبة الخروج والعصيان ، ويبدل له الأمان إن تاب وعاد إلى الجماعة . فكتب إليه محمد بن عبد الله هذا الكتاب

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد . طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون ظاهراً في الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستخفي نساءهم ، إنه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في

الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذى عرضت على ، فإن الحق حقنا ، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا عليا كان الوصى ، وكان الإمام . فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا ، وشرف آبائنا ؛ لسا من أولاد اللعناء ولا الطرداء ، ولا الطلقاء . وليس يمت أحد من بنى هاشم بمثل الذى نمت به من القرابة والسابقة والفضل ، ولإنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة فى الإسلام دونكم . إن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن السلف أولهم لإسلاما على ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة ، وأول من صلى القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولدين فى الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة ؛ وإن هاشما ولد عليا مرتين وإن عبد المطلب ولد حسنا مرتين وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل حسن وحسين . وإنى أوسط بنى هاشم نسباً ، وأصرحهم أما وأباً ، لم تعرق فى العجم ، ولم تتنازع فى أمهات الأولاد . فما زال الله يختار لى الآباء والأمهات فى الجاهلية والإسلام حتى اختار لى فى النار ، فأنا ابن أرفع الناس درجة فى الجنة وأهونهم عذاباً فى النار ، وأنا ابن خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار . ولك الله على إن دخلت فى

طاعتي ، وأجبت دعوتي . أن أومنك على نفسك ومالك ، وعلى كل أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله ، أو حقاً لمسلم أو معاهد ، فقد علمت ما يلزمك من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك ، وأوفى بالعهد ، لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجلاً قبلي : فأى الأمانات تعطيني ؟ أمان ابن هُبَيْرَة ؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي ؟ أم أمان أبي مسلم ؟ ؟ فأنت ترى في هذه الرسالة أن كاتبها محمد بن عبدالله عرض فيها نظرية العلويين السياسية والدينية ، وهى أنهم ورثوا الخلافة عن النبي لأن أباهم كان وصي النبي ، ولأن أهمهم بنت النبي ، وما كان لغيرهم أن يلى الخلافة وهم أحياء . ثم أخذ بعد ذلك يفتخر بقرايته من النبي ومكاته منه في الإسلام وفي الجاهلية : وبهذه الكرامة التى خص الله بها أهل البيت . ثم ذكر أنه ابن خير الإخيار وخير الأشرار ، وخير أهل الجنة وخير أهل النار . أراد أبا طالب الذى مات ولم يسلم ، فيروى أنه أقل أهل النار عذاباً لما قام به نحو النبي من واجب العطف والرعاية . ثم ختم رسالته بفقرة بلغت من القوة مبلغاً عظيماً ، حتى إن المنصور لم يستطع لها دفعا ، لأنها كانت من الحق بحيث لا يمكن دفعها . هذه الفقرة التى يذكر فيها خيانة المنصور لقوم استأمنوه فآمنوه ، ثم غدر بهم ، ونقض عهده ، وأخذهم على غرة وهم عزل من كل سلاح . وقد وقع هذا الخطاب وقوع الصاعقة فى قصر المنصور ، فاهتم به اهتماماً كبيراً ، وانتدب الكتاب والأمراء للرد عليه ، ولكنهم لم يوفقوا إلى إرضائه فيما كتبوا ، فتولى الرد بنفسه ، وأملى هذه الرسالة .

» بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله أهير المؤمنين ، إلى

محمد بن عبد الله : أما بعد ، فقد بلغنى كلامك ، وقرأت كتابك ، فإذا جل
نفرك بقرابة النساء ، لتضل به الجفافة والعوغاء : ولم يجعل الله الدساء
كالعمومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء : لأن الله جعل العم أبا وبدأ به
فى كتابه على الوالدة الدنيا ، ولو كان اختيار الله لمن على قدر قرابتهن
كانت آمنة أقربهن رحما ، وأعظمهن حقا ، وأول من يدخل الجنة غدا ،
ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبى طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق
أحدا رزق الإسلام ، لا بنتا ولا ابنا . ولو أن أحدا رزق الإسلام
بالقرابة ، رزقه عبد الله أولاهم بكل خير فى الدنيا والآخرة ؛ ولكن
الأمر لله يختار لدينه من يشاء ؛ قال الله عز وجل : إنك لا تهدى من
أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين . ولقد بعث
الله محمدا عليه السلام وله عمومة أربعة ، فأزل الله عز وجل : وأنذر
عشيرتك الأقربين . فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان : أحدهما أبى :
وأبى اثنان : أحدهما أبوك ، فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه
وبينهما إلا ولا ذمة ولا ميراثا .

وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا ، وابن خير الأشرار ،
وليس فى الكفر بالله صغير ، ولا فى عذاب الله خفيف ولا يسير . وليس
فى الشر خيار ؛ ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وسترده
فتعلم . « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

أما ما نفرت به من فاطمة أم على ، وأن هاشما ولده مرتين ، ومن فاطمة
أم حسن وأن عبد المطلب ولده مرتين وأن النبى صلى الله عليه وسلم ولدك

سنتين ، خفيّر الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلدّه هاشم إلا مرة ، ولا عبد المطلب إلا مرة : وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسبا ، وأصرّحهم أما وأبا ، وأنه لم تلدك العجم ، ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ، فقد رأيتك تغرت على بنى هاشم طرا . وانظر ويحك أين أنت من الله غدا ، فإنك قد تعديت طورك ، وغرت على من هو خير منك نفسا وأبا ، وأولا وآخر ، إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ولد ولده . وما خيار بنى أهلك خاصة ، وأهل الفضل منهم ، إلا بنو أمهات أولاد . وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن حسين ، وهو لأم ولد ، وهو خير من جدك حسين بن حسن ؛ وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد ، وهو خير من أهلك . ولا مثل ابنه جعفر ، وجدته أم ولد ، وهو خير منك .

أما قولك إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله تعالى يقول في كتابه : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » . ولكنكم بنو ابنته . وإنها لقربة قريبة ، ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف تورث بها ؟ ولقد طلب بها أبوك بكل وجه ، فأخرجها نهرا ، ومرضا سرا ، ودفنها ليلا ، فأبى الناس إلا الشيخين . وتفضيلهما . ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ، أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يرثون . وأما ما غرت به من علي وسابقتها ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه . وكان في الستة فتركوه كلهم ، دفعا له عنها ، ولم يروا له حقا فيها . أما عبد الرحمن فقدم

عليه عثمان ، وقتل عثمان وهوله مُتَّهِم . وقَاتَلُهُ طَلْحَةُ وَالزَّيْبِر . وَأَبْنِ سَعْدٍ
يَبْعَتُهُ ، وَأَغْلَقَ دُونَهُ بَابَهُ ، ثُمَّ بَايَعَ مَعَاوِيَةَ بَعْدَهُ . ثُمَّ طَلَبَهَا بِكُلِّ وَجْهِ ،
وَقَاتَلَ عَلَيْهَا ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَشَكَّ فِيهِ شَيْعَتُهُ قَبْلَ الْحُكُومَةِ ، ثُمَّ
حَكَّمُ حَكَمَيْنِ رَضِيَ بِهِمَا ، وَأَعْطَاهُمَا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ ، فَاجْتَمَعَا عَلَى خُلْعِهِ ،
ثُمَّ كَانَ حَسَنٌ ، فَبَاعَهَا مِنْ مَعَاوِيَةَ بِخَرْقٍ وَدِرَاهِمٍ ، وَلَحَقَ بِالْحِجَازِ ، وَأَسْلَمَ
شَيْعَتُهُ بِيَدِ مَعَاوِيَةَ ، وَدَفَعَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَأَخَذَ مَا لَا مِنْ غَيْرِ وَلَا نَهْ
وَلَا حِلَّ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِيهَا شَيْءٌ فَقَدْ بَعْتُمُوهُ ، وَأَخَذْتُمْ ثَمَنَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
عَمَكَ حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى ابْنِ مَرْجَانَةَ ، فَكَانَ النَّاسُ مَعَهُ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ ،
وَأَتَوْا بِرَأْسِهِ إِلَيْهِ . ثُمَّ خَرَجْتُمْ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَتَلُوكُمْ وَصَلَبُوكُمْ عَلَى جَذُوعِ
النَّخْلِ ، وَأَحْرَقُوكُمْ بِالنَّيِّرَانِ ، وَنَفَوْكُمْ مِنَ الْبِلَادِ ، حَتَّى قَتَلَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ
بِخِرَاسَانَ ، وَقَتَلُوا رِجَالَكُمْ ، وَأَسْرَوْا الصَّبِيَّةَ وَالنِّسَاءَ ، وَحَمَلُوهُم بِلَا وَطَاءَ
مِنَ الْحَامِلِ ، كَالصَّبِيِّ الْمَجْلُوبِ إِلَى الشَّامِ ، حَتَّى خَرَجْنَا عَلَيْهِمْ ، فَطَلَبْنَا
بِأَرْكَمَ ، وَأَدْرَكْنَا بِدِمَائِكُمْ ، وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ، وَسَيِّئْنَا سُلُوكَكُمْ
وَفَضَلْنَا ، فَاتَّخَذْتَ ذَلِكَ عَلَيْنَا حِجَّةً ، وَظَنَنْتَ أَنَا ذَكَرْنَا أَبَاكَ وَفَضْلَنَا ،
لِلتَّقْدِمَةِ مَنَالَهُ عَلَى حِمْرَةٍ وَالْعَبَاسِ وَجَعْفَرٍ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا ظَنْنْتَ . وَلَكِنْ
خَرَجَ هَؤُلَاءُ مِنَ الدُّنْيَا سَالِمِينَ ، مُتَسَلِّينَ مِنْهُمْ ، مُجْتَمِعِينَ عَلَيْهِمْ بِالْفَضْلِ ،
وَابْتَلَى أَبُوكَ بِالْقِتَالِ وَالْحَرْبِ ، وَكَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ تَلْعَنُهُ كَمَا تَلْعَنُ الْكُفْرَةَ
فِي الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ ، فَاحْتَجَجْنَا لَهُ ، وَذَكَرْنَا لَهُمْ فَضْلَهُ ، وَعَنْفَانَهُمْ وَظُلْمَانَهُمْ
بِمَا نَالُوا مِنْهُ . وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَكْرَمَتَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَقَايَةُ الْحَجِيجِ
الْأَعْظَمِ ، وَوَلَايَةُ زَمْزَمَ ، فَصَارَتْ لِلْعَبَاسِ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِ ، فَتَازَعْنَا فِيهَا

أبوك ، ففضى لنا عليه عمر ، فأنزل عنها في الجاهلية والإسلام . ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ، ولم يتقرب إليه إلا بأينا ، حتى نعشهم الله وسقامهم الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به . ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيره . فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده . فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده . فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام ، في دنيا ولا آخرة ، إلا والعباس وارثه ومورثه . وأما ما ذكرت من بدر ، فإن الإسلام جاء والعباس يمتون أباطالب وعياله ، وينفق عليهم ، للأزمة التي أصابته ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرها ، لمات طالب وعقيل جوعا ، أو يلحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسبة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ، ثم فدى عقيل يوم بدر ؛ فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا إلا أنفسكم . والسلام عليك ورحمة الله .

وقد أتيت بهاتين الرسالتين ، لأضع أمام القارئ صورة من حرب الأقالام ، وهي لم تكن أقل عنفا وشدة من حرب السهام . وكما كانت رسالة محمد بن عبد الله قوية جدا ، كذلك كانت رسالة المنصور في غاية

القوة، ومنتهى الشدة، فاستطاع أن يرد على خصمه رداً مفجأ، وأن يهدم مفاخر العلويين هداماً تاماً، ويقيم على أنقاضها مفاخر العباسيين، وأن يقضى على نظرية العلويين في الحكم قضاءً مبنياً، مدلاً على قوله بالقرآن والسنة والإجماع؛ فبين أن العلم أحق بالوراثه من البنت، وأن العباس قد ورث النبي، فطبيعى أن يرثه أبناؤه من بعده. وذكر المنصور أن العلويين إن كان لهم بعض حق فيها، فقد باعه حسن لمعاوية بخرق ودراهم، وغير العلويين بنكرانهم الجليل، وكفرهم النعمة. فقد نهض العباسيون وجاهدوا في سبيل الثأر لهم، حتى نصرهم الله ووقتهم، وأدركوا الثأر، وأذلوا الأمويين، وأذهبوهم من الوجود، ومع كل هذا لم يجدوا من أبناء عمهم إلا عقوقاً وجحوداً.

(٣) الحديث

والحديث كما تعلم جزء من الأدب. وقد اجتهد العلويون في وضع الأحاديث الكثيرة التي تثبت حق عليّ في الخلافة، والتي ترفع من شأنه وتعلو من مقامه. وقد بلغت الأحاديث التي وضعها الشيعة آلافاً. ويتضمن كتاب الكافي، وهو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند السنيين، طرفاً منها. قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة^(١)، وعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم حملهم، على وضعها عداوة خصومهم.

(١) المجلد الثالث طبع مطبعة الحلبي س ١٧٠

ثم قال : « فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث ، وقال في موضع آخر : « فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أووسعوا في وضع الأحاديث . . » .
وهكذا ظل القوم يتنافسون في الوضع ، ويتسابقون في ميدان الكذب . وكان المراءون والمستضعفون من الرجال يضعون الأحاديث في فضائل عثمان وغيره من الصحابة ، ويتقربون بها إلى بني أمية ، الذين كانوا يحزلون لهم العطاء ، ويمنحونهم الجوائز والهبات . ثم أخذ الشيعة في وضع أحاديث تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم وفسقهم ، فقابلهم خصومهم بمطاعن كثيرة في علي وفي ولديه ، ونسبوه تارة إلى ضعف العقل ، وتارة إلى ضعف السياسة ، وتارة إلى حب الدنيا والحرص عليها . ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا ، بل ذكروا كثيرا من هذه الأحاديث الموضوعة ، وبينوا وضعها ، وأن رواها غير موثوق بهم . ومثال ذلك ما روى عن علي بن أبي طالب أنه قال :

« خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ مررنا بنخل ، فصاحت نخلة بأخرى هذا النبي المصطفى وعلى المرتضى ، ثم جزناها فصاحت ثالثة بثالثة موسى وأخوه هارون ، ثم جزناها فصاحت رابعة بخامسة هذا نوح وإبراهيم ، ثم جزناها فصاحت سادسة بسابعة هذا محمد سيد المرسلين ، وهذا علي سيد الوصيين فتبسم ثم قال يا علي : إنما سمي نخل المدينة صيحانا لأنه صاح بفضل وفضلك . وهذا الحديث أورده الإمام السيوطي في كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة

مرويا عن ابن الجندى ثم ذكر أن ابن الجندى هذا كان شيعيا ضعيفا في الرواية . ثم أورد السيوطى آراء علماء الحديث فيه وقد أجمعوا على أنه موضوع .

ومثال آخر وهو ماروى عن محمد بن أيوب ومحمد الأسدى ومحمد ابن يونس الكديمى « النظر إلى على عبادة ، ذكر السيوطى أن محمد بن أيوب مشهور برواية الموضوعات ، ومحمد الأسدى ومحمد بن يونس الكديمى مشهوران بالكذب . وما رواه حفص بن عمر الإيلي من أن النبي قال لعل حين خرج لغزوة تبوك :

« المدينة » لا تصلح إلا بى أو بك وأنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدى . قال ابن حبان : حفص كذاب يحدث عن الأئمة بالبواطيل .

ولم يكف العلويون بوضع الأحاديث التي تؤيد وجهة نظرهم السياسية ، بل وضعوا أحاديث تثبت أن عليا اختصه الله بما لم يختص به أحدا من البشر ، ومنحه من العلم والذكاء والشجاعة والحلم وسائر الفضائل ما لم يمنح غيره من الناس . ومثال ذلك ماروى عن ابن عباس أنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا مدينة العلم وعلى بابها » أنكره ابن الجوزى وقال إنه موضوع .

وقد كان للفرس نصيب وافر في وضع الأحاديث التي ترفع من شأن

على وآله ، وقد أقر بعضهم بذلك ومنهم ميسرة^(١) بن عبد ربه الذى اعترف بأنه وضع سبعين حديثاً فى فضل على .

ومن أمثلة ما وضعه خصوم الشيعة ماروى من أن يهوديا أتى أبا بكر فقال : والذى بعث موسى وكله تكليماً إني لأحبك ، فلم يرفع أبو بكر رأسه تهاونا باليهودى ، فهبط جبريل ، وقال : يا محمد : إن العلى الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك قل لليهودى الذى قال لأبى بكر إني أحبك ، إن الله قد حاد عنه فى النار خلتين ، لا توضع الأنكال فى عنقه ولا الأغلال فى عنقه لحبه أبا بكر ، فأخبره ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، وما ازددت لأبى بكر إلا حبا ، فقال « هنيئاً لك ، أحاد الله عنك النار بجذافيرها ، وأدخلك الجنة لحبك أبا بكر » أتى به السيوطى فى كتابه الآنف الذكر ، وقد أنكره أئمة الحديث . وحديث آخر روى عن النبى أنه قال « يبعث معاوية يوم القيامة وعليه رداء من نور » ، جزم ابن الجوزى وابن حبان بأنه موضوع .

كثُر وضع الأحاديث كثيرة هائلة . وقد روى عن الإمام أبى حنيفة أنه لم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثاً ، ولم يصح عند الإمام مالك إلا ثلثمائة حديث . ولم يصح عند البخارى إلا ٢٦٠٠ من أكثر من ٦٠٠٠ حديث سمعها الناس .

وقد تجاوزوا فى الوضع والكذب دائرة الأشخاص إلى القرآن ،

(١) مختصر علم الحديث لابن كثير هامس ص ٨٣ .

فهذه الآية تشفي من مرض كذا وتلك تذهب الفقر وتجلب الغنى وهكذا .
 ومثال ذلك ما روى عن أبي هريرة أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء ، ورووا أن النبي قال : « من كانت له حاجة فليتوضأ وضوءا جيدا ، ثم يلزم موضعا لا يراه أحد فيصلي أربع ركعات ، يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفي الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وفي الثالثة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفي الرابعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة . فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة ، ثم يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم خمسين مرة ثم يستغفر الله سبعين مرة ، فإن كان عليه دين قضى الله دينه ، وإن كان فقيرا أعناه الله ، وإن كان غريبا رده الله إلى أهله ، وإن كان عليه من الذنوب حشو الدنيا يغفر الله له ، وإن لم يكن له ولد فيسأل الله يرزقه ولدا »

وقد انغمس في الكذب والافتراء فريق من عرفوا بالتقوى والورع والنسك والزهد . فترتب على هذا أن الشعوب الإسلامية أصبحت ألعوبة في يد فريق من الناس يسيرونها وفق أهوائهم ، ويستغلونها لمنفعتهم الخاصة باسم الدين وهم من أبعد الناس عن الدين . وقد أتر هذا في حياة المسلمين وأدى بهم إلى نوع من الذل والعبودية وضرب من التأخر والانحطاط .

(٤) القصص

قيل إن معاوية كتب إلى عماله «أن^(١) انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأذنوا بحالهم وقربهم وأكرمهم، واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء ويفضضه في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يحى أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقر به وشفعه فلبشوا بذلك حيناً، ولما كثرت الروايات في مناقب عثمان كتب معاوية إلى عماله ليحملوا الناس على الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا يتركوا منقبة يرووها أحد من المسلمين في أبي تراب إلا ويأتوا بمناقض لها في الصحابة مفتعلة، فقرئت كتب معاوية على الناس في مختلف الأمصار قسابق القوم في اختلاق المناقب وإصاقها بكثير من الصحابة وجدوا في ذلك إلى أبعد حد، وأشادوا بتلك المناقب على المتأبر ودفعوا بما اختلقوا إلى معلى الكتاتيب فعملوا صيانتهم وغلانهم من ذلك الكثير حتى حفظوه كما يحفظون القرآن، وعلوه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم ولما تولى الحجاج العراق، واشتدت وطأه على العلويين، تقرب إليه أهل النسك والصلاح ببغض على وعييه والطعن فيه، كما أنهم أثبتوا قدرة

(١) شرح ابن أبي الحديد المجلد الثالث ص ١٥ وما بعدها.

فائقة على الكذب والافتراء فأضافوا قسطا وافرا إلى ما وضعه أسلافهم من الفضائل والمناقب وألصقوها بكثير من زعماء المسلمين الأولين .
فلما رأى العلويون ذلك عمدوا إلى مقابلة هذه الحركة بضدها وبرهنوا على أنهم لا يقلون عن خصومهم في القدرة على الوضع والاختلاق .
فصنعوا المناقب الكثيرة لصاحبهم ، ونسبوا إليه كل فضيلة ، واجتهدوا في ذلك اجتهدا كبيرا .

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل ويلبوعها وأبو عذرها وسابق مضارها ، ومجلى حليتها . كل من بزغ فيها بعده فتمه أخذ ، وله اقتنى ، وعلى مثاله احتذى . وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم . ومن كلامه عليه السلام اقتبس ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ومنه ابتداء . فان المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه ، لأن كبيرهم وأصل بن عطاء تليذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تليذ أبيه وأبوه تليذه عليه السلام . »

ومن خوارق العادات ما رواه صاحب الأغاني^(١) من أن عليا عزم على الركوب ، فلبس ثيابه ، وأراد لبس الخنف ، فلبس أحد خفيه تم هوى إلى الآخر فانقض عقاب من السماء فخلق به ثم ألقاه فسقط منه أسود^(٢) وانساب فدخل جحرا فلبس علي بن أبي طالب الخنف . وفي ذلك يقول السيد الحميري :

(٢) الأسود : العظم من الحيات .

(١) ص ٦٠

ألا يا قوم للعجب العجيب لخفّ أبي الحُسَيْن ولِلْجَبابِ
أتى خُفّاً له فانساب فيه لِيُنْهَسَ رِجْلَهُ مِنْهُ بِنَابِ
فَخَرَّ من السماء له عِقَابٌ من الْعُقْبَانِ أو شِبْهِ الْعَقَابِ
فطار به فخلق ثمّ أهوى به للأَرْضِ من دون السَّحَابِ
إلى جُحْرِ له فانساب فيه بَعِيدِ الْقَعْرِ لم يُرْتَجِ بِنَابِ
كُريه الوجه أسود ذو بَصيصٍ حديدُ النَّابِ أَرْزَقُ ذُو الْعَابِ
وَدُوْفِعَ عن أبي حسن على نَقِيعِ سُمَامِهِ بعد انْسِيَابِ

ولما شاع التدوين وانتشر التأليف ظهرت كتب كثيرة في مناقب
أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من أصحاب رسول الله . ذكر ياقوت^(١)
أن الطبري «رجع إلى طبرستان فوجد الرفض قد ظهر ، وسب أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهلها قد انتشر ، فأملى فضائل أبي بكر
وعمر حتى خاف أن يجرى على لسانه ما يكرهه فخرج منها من أجل
ذلك .»

قال ابن أبي الحديد^(٢) «ولقد كان الفريقان في غنية عما اكتسباه
واجترحاه ، ولقد كان في فضائل على عليه السلام الثابتة الصحيحة
وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصية لهما ، فإن
العصية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل ،
ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساوىء والمقاييس .»

(١) معجم الأدباء ج ٨٥/١٨ . (٢) المجلد الثالث طبع الحلبي ص ١٧ .

كانت هذه الكتب الكثيرة التي ألقت عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى مبنية على الخيال ، فيها أساطير وخرافات فهي قصص أدبية فيها لذة كبيرة ومتعة عظيمة . وقد انتشرت هذه القصص بين الجمهور خصوصا ما دار منها حول علي وأبنائه وسُغف العامة بها شغفا عظيما وأقبلوا على تلاوتها في مجالس السمر . ومن هذا القليل قصص كتبت في عصور مختلفة عن آل البيت مثل السيدة زينب حارسة مصر ، والحسن والحسين والسيدة نفيسة والسيدة عائشة والخضر وغير هؤلاء . ثم تجاوز الأمر آل البيت إلى الأولياء والأقطاب ، فوضعت كتب عن السيد البدوي ، والسيد أحمد الرفاعي ، وإبراهيم الدسوقي ، وعبد الرحيم القنأى ، والسيد أبي الحجاج .

وهكذا اجتهد المسلمون شيعيين وسنيين في نشر الخرافات والأوهام والأساطير والأباطيل حول زعماء المسلمين من آل البيت وغيرهم فتأثرت بها عقائد العامة وتصوراتهم في العصور المختلفة ، وترتب على ذلك أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تركوا الإسلام الصحيح الذي يقوم على التوحيد ، واتخذوا أربابا كثيرين يدعونهم من دون الله إذا مسهم الضر .

فترى من هنا أن التشيع قد أخرج نوعا من الأدب كان سببا في الهبوط بالمسلمين إلى هوة سحيقة من التأخر والانحطاط . وقد أفلح الوهابيون في القضاء على كثير من هذه الخرافات في داخل بلادهم ، أما في الأقطار الإسلامية الأخرى فالحال باقية كما هي عليه حتى بين طبقة المتعلمين .

(٥) انتحال القول

ولم يقف أثر التشيع في النثر العربي عند ما قدمناه بل تعداه إلى شيء آخر ، وهو وضع أدباء الشيعة لأقوال وخطب ورسائل وإسنادها إلى أئمتهم وبخاصة علي بن أبي طالب . فقد أخذ ما ينسب إليه من خطب وأمثال وحكم يزداد يوما بعد يوم ، حتى أتى الشريف الرضى فجمع كل ما ينسب إليه في كتاب ضخم سماه نهج البلاغة . ونخلوه كلاما يخلو من أشيع الحروف في الكلمات وهو حرف الألف . ولا يعقل أن يظهر مثل هذا التكلف قبل عصر العباسيين .

ونخلوه من مصطلحات علم الكلام أقوالا لم تعرف ولا يعقل أن تعرف قبل ترجمة المفردات الإغريقية بما لها من غرائب النحت والاشتقاق ومثال ذلك « وإنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ، ولا في روياي خواظرها فتكون معدودا مصرفا » . وما ينسب إليه قوله « سلوني قبل أن تفقدوني ، فإن بين كتنى علما جتّا خبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام إليه صعصعة ابن صوحان ، فقال له يا أمير المؤمنين : متى يخرج الدجال ؟ فقال له أقعد يا صعصعة ، فقد علم الله جل ثناؤه مقامك ، ولكن له علامات وهنات وأشباه يتلو بعضها بعضا حذو النعل بالنعل تكون في حول واحد فإن شئت نبأتك بعلاماته . فقال عن ذلك سألتك يا أمير المؤمنين ، قال له : أعقد يديك يا صعصعة . إذا أمات الناس الصلاة ، وأضاعوا

الأمابة، واستحلوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيدوا البناء، واتبعوا الأهواء، وباعوا الدين بالدنيا، واستخفوا بالدماء، وكان الحلم ضعفا، والظلم نفرا، والأمراء فجرة، ووزراؤهم وأمنائهم خونة، وقراؤهم فسقة، ويظهر الجور، ويكثر الطلاق وموت الفجاءة، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنابر، وخربت القبور، ونقضت العهود، واستعملت المعازف، وشربت الخمر^(١)،

فظاهر من هذه القطعة أنها لا يمكن أن تصدر إلا عن شخص عاش في العصر العباسي الثاني، حينما انغمس الناس في الترف والنعيم، فأنشأوا القصور الفخمة، وأقاموا المساجد العظيمة، وتأنقوا في بنائها وزخرفوها وبرعوا في زخرفتها. وشملت عنايتهم جميع فروع الحياة من ملبس ومأكل ومسكن. وتفتنوا في كتابة المصاحف وتحليتها بالذهب والفضة، وأبدعوا في ذلك إبداعا عظيما. فأين كل هذا من عصر علي؟

. وعلاوة على ما تقدم فإن أدباء الشيعة وضعوا كثيرا من القطع الأدبية والخطب والرسائل التي تؤيد مذهبهم وتدعم رأيهم أو التي ترفع من شأن علي وأبنائه، وأجروها على ألسنة أشخاص مختلفين. ومثال ذلك ما رواه أبو علي القالي^(٢) في كتاب الآمالى من أن معاوية قال لضرار الصدائى : يا ضرار صف لى عليا رضى الله عنه . قال أعفى يا أمير المؤمنين . قال لتصفنه . قال : أما إذ لابد من وصفه ، فكان والله بعيد

(١) نهج البلاغة .

(٢) آمالى القالى > ٢ ص ١٤٩ .

المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن . كان فينا كأحدنا ، يحيننا إذا سألناه ، ويبتئنا إذا استبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبذته لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه وقد مثل في محرابه ، قابضا على لحيته ، يتململ تملل السليم ، ويبكي بكاء الحزين . ويقول يا دنيا غرى غبرى . إلى تعرضت ؟ أم إلى تشوفت ؟ هيات هيات قد بايتك ثلاثا لا رجعة فيها . فعمرك قصير ، وخطرك حقيق . آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ووحشة الطريق . فبكي معاوية ، وقال : رحم الله أبا الحسن « وفي رواية أخرى فبكي معاوية ووكف دموعه على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه : وقد اختنق القوم بالبكاء ، وقال رحم الله أبا الحسن » . كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدا في حجرها .

أما بعد ، فهل كان معاوية يجهل عليا ويحتاج إلى من يصفه له ؟ كلا ! لقد كان معاوية يعرف عليا معرفة جيدة ولا يجهل شيئا من أخلاقه وعاداته .

ثم إنك ترى بعد ذلك أن معاوية ومن معه بكوا حتى كادوا

يَحْتَقُونَ مِنَ الْبُكَاءِ ، تَدْفَقَتْ دُمُوعُهُمْ ، وَانْهَمَرَتْ عَيْنَاتُهُمْ . ثُمَّ تَرَى
مَعَاوِيَةَ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ .

وَقَدْ سَبَقَ لَكَ أَنْ عَرَفْتَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ يُوصِي عَمَالَهُ بِأَنْ يَحْتَمُوا
خُطْبَتَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ بِسَبِّ عَلِيٍّ وَآلِ بَيْتِهِ وَالتَّرْحِمِ عَلَى عُثْمَانَ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُ .
قَالَ مَعَاوِيَةُ لِلْبَغِيَّةِ « لَا تَتَحَمَّ عَنْ شَتْمِ عَلِيٍّ وَذَمِّهِ ، وَالتَّرْحِمِ عَلَى عُثْمَانَ
وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُ وَالْعَيْبِ عَلَى أَصْحَابِ عَلِيٍّ وَالْإِقْصَاءِ لَهُمْ وَتَرْكِ الْإِسْتِمَاعِ لَهُمْ
وَيَاطِرَاءِ شِيعَةِ عُثْمَانَ وَالْإِذْنَاءِ لَهُمْ وَالِاسْتِمَاعِ لَهُمْ ، وَقَدْ قَتَلَ كَثِيرِينَ مِنْ
رَفَضُوا أَنْ يَتَبَرَّأُوا مِنْ عَلِيٍّ .

فَإِذَا مِنَ السَّهْلِ عَلَيْنَا أَنْ نَذْرَكَ أَنَّ هَذِهِ الْقِطْعَةُ مَوْضُوعَةٌ ، وَقَدْ
أَخْفَقَ وَاضْعُهَا فِيمَا أَرَادَ وَلَمْ يَوْفُقْ فِيمَا سَعَى .

وَقَدْ أَفْرَدَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي كِتَابِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ فَصْلًا خَاصًّا لِلْوَأْدَاتِ
عَلَى مَعَاوِيَةَ مِنْ نِسَاءِ زُعَمَاءِ الشَّيْعَةِ اللَّاتِي قَتَلَ أَزْوَاجَهُنَّ فِي الْحَرْبِ ، وَمِنْ
الْوَأْدَاتِ عَلَيْهِ سُودَةُ ابْنَةُ عِمَارَةَ ، وَبِكَارَةِ الْهَلَالِيَّةِ وَالزُّرْقَاءِ ، وَأُمُّ الْخَيْرِ
بِنْتُ الْخُرَيْشِ . وَقَدْ رَوَى الشَّعْبِيُّ أَقْوَالَ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ مَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَفِيهَا
مَدْحٌ لِعَلِيٍّ وَاعْتِزَارٌ لِمَعَاوِيَةَ وَطَلَبُ الصَّفْحِ وَالْعَفْوِ . وَتَنْتَهَى هَذِهِ
الْأَقْوَالُ بِأَنْ يَسْأَلَ مَعَاوِيَةَ كَلَامَهُنَّ عَنْ حَاجَتِهَا وَيَجْزِلَ لَهَا الْعَطَاءُ
. وَيُرْدَهُنَّ إِلَى دِيَارِهِنَّ إِلَّا لِمَرْوِيَّةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَإِنَّهَا لَمْ تَسْأَلْهُ شَيْئًا
وَانْصَرَفَتْ وَهِيَ غَاضِبَةٌ نَاقَةٌ ، سَاخِطَةٌ عَلَى الدَّهْرِ مَا فَعَلَ بِآلِ عَلِيٍّ . وَنَحْنُ
مُضْطَرُونَ إِلَى الشُّكِّ فِي صِحَّةِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لِأَنَّهَا أَتَتْ عَنْ طَرِيقِ الشَّعْبِيِّ
وَهُوَ شَيْعِي يَكْرَهُ الْأُمَوِيِّينَ وَقَدْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ

أيام الحجاج وعفا عنه بنو أمية أخيرا ، وبعض الشيعة مشهورون بالكذب والاختلاق . انظر إلى كثير حين يقول فى محمد ابن الحنفية :

هو المهدي خبرناه كعب أخو الأجارى فى الحقب الخوالى
فلما قيل هل رأيت كعبا . قال : لا ، قيل له فلم قلت خبرناه كعب
قال : بالتوهم .

وفضلا عما تقدم فإن الشعبي كان يشرب الخمر ، ولم يكن متمسكا
بأهداب الدين والفضيلة .

ولعل من أروع ما أتى به صاحب العقد الفريد المناظرة بين المأمون
والعلماء واحتجاجه عليهم فى فضل على . فقد روى أن المأمون جمع
أربعين عالما من المتفقهين فى الدين وكان على رأسهم إسحاق بن إبراهيم
ابن إسماعيل بن حماد بن زيد . وبدأ المأمون حديثه معهم بقوله « إن
أمير المؤمنين يدين الله على أن على بن أبى طالب خير خلفاء الله بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأولى الناس بالخلافة له . » وهذه المناظرة
طويلة وممتعة فليرجع إليها القارىء إن شاء . وهى من غير شك من وضع
أحد دعاة الشيعة . وقد أورد ابن عبد ربه فى مكان آخر ما نصه « قال
المأمون لعلى بن موسى : علام تدعون هذا الأمر ، قال : بقرابة على
وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له المأمون : إن لم تكن
إلا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من
هو أقرب إليه من على أو من هو فى تعدده . وإن ذهبى إلى قرابة فاطمة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الأمر بعدها للحسن والحسين ،

فقد أبتزهما على حقهما وهما حيان صحيحان فاستولى على مالا حق له فيه فلم يجد على بن موسى جواباً .

فالكلام الذى نسب إلى المأمون فى فضل على وإن كان من وضع الشيعة أنفسهم إلا أن الثابت أن المأمون كان يميل إلى العلويين ، وقد عهد بولاية العهد من بعده إلى على بن موسى الذى سبق ذكره ولكن هذا مات قبل أن يتولى مقاليد الأمور وقد ادعى الشيعة أنه مات مسموماً ، وربما كان هذا صحيحاً ، فلعل المأمون رأى رأياً ثم بدا له غيره فتنخلص من على بأن دس له السم . والدليل على ذلك أن المأمون أجرى ولاية العهد بعد وفاة على فى العباسيين مع أنه كان قادراً على اختيار شخص آخر من العلويين لو أنه ثبت على رأيه الأول .

الفصل الثاني

خطباء الشيعة

الإمام على

مولده : ولد قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة . وكانت ولادته بمكة بالكعبة . وفي ذلك يقول السيد الحميري :

ولدته في حرم الإله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها وبدت مع القمر المنير الأسعد
مالف في خرق القوابل مثله إلا ابن آمنة النبي محمد

ثقافته وتهذيبه : حفظ الإمام على القرآن حفظاً جيداً ووعى الحديث وتفقه في الدين ، وتأثر فصاحة الرسول وبلاغته ، كما وقف على كثير من شعر من سبقه من الشعراء ، فلا عجب أن كان فارساً من فرسان البلاغة ، وعلمياً من أعلام البيان . قال الأستاذ محمد حسن نائل المرصفي^(١) « بهذه الخصال الثلاث — يعني جمال الحضارة الجديدة ، وجلال البداوة القديمة ، وبشاشة القرآن الكريم — امتاز الخلفاء الراشدون . ولقد كان المجلى في هذه الحلبة على صلوات الله عليه . وما أحسبني أحتاج في إثبات هذا إلى دليل أكثر من نهج البلاغة ، ذلك الكتاب الذي أقامه

(١) في مقدمة شرحه لنهج البلاغة .

الله حجة واضحة على أن عليا رضى الله عنه قد كان أحسن مثال حي لتور القرآن وحكمته ، وعلمه وهدايته ، وإعجازه وفصاحته .
وقد سبق أن ذكرنا أن الخطب التي تنسب إلى علي بن أبي طالب جمعت كلها في كتاب ضخم سمي « نهج البلاغة » . والآن تريد أن تتكلم عن هذا الكتاب الذى هو أثر من أنفس الآثار التي تركها التشيع في الأدب العربى .

نهج البلاغة

كان الكلام الذى ينسب إلى علي مدونا في كثير من الكتب . وقدبقى كذلك حتى جاء الشريف الرضى لحسن له بعض أصدقائه كما قال أن يجمع ما يعزى إلى علي من خطب ومواعظ وحكم ، وما صدر عنه من رسائل . قال في مقدمة النهج : « وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وآداب ، علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدبيلة والدينية مما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب ... فأجبتهم إلى الابتداء بذلك ، علما بما فيه من عظيم النفع ، ومشور الذكر ومذخور الأجر » .

ترتيب الكتاب : قال الشريف الرضى : « رأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : أولها الخطب والأوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ . فأجمعت بتوفيق الله على الابتداء

باختيار محاسن الخطب ، ثم محاسن الكتب ، ثم محاسن الحكم والأدب ، مفردا لكل صنف من ذلك بابا ، ومفصلا فيه أوراقا لتكون مقدمة لاستدراك ماعساه يشذ عن عاجلا ، ويقع إلى آجلا . وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار ، أو جواب سؤال ، أو غرض آخر من الأغراض في غير الأنحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى ألبق الأبواب به ، وأشدها ملاءمة لغرضه . وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ، ومحاسن غير منتظمة ، لأنى أوردت النكت واللمع ، ولا أقصد التتالى واللسق .

محتوياته : ضم كتاب نهج البلاغة بين دفتيه ٢٤٢ خطبة وكلاما و ٧٨ كتابا ورسالة و ٤٩٨ كلمة من روائع الحكم وجوامع الكلم .
شروحه : شروح هذا الكتاب تليف على الخمسين . والمعروف منها الآن لدى الناس :

١ — شرح ابن أبي الحديد . وهو عبد الحميد بن هبة الله الجدائني المشهور بابن أبي الحديد . ولد عام ٥٨٦ هـ وتوفي عام ٦٥٦ هـ أهدها إلى الوزير ابن العلقمي رئيس الشيعة ببغداد في ذلك الوقت ، وفي أيام هذا الوزير زالت الخلافة العباسية من الوجود . وابن أبي الحديد وإن ادعى أنه معتزلي إلا أنى أشك في هذا الإدعاء وأعتقد أنه كان شيعيا متعصبا . وقد طبع هذا الشرح بمصر عام ١٣٢٩ بمطبعة الحلبي . وهو أشهر الشروح التي ظهرت لهذا الكتاب .

٢ — شرح كمال الدين بن ميثم النجرائي . وهو من علماء القرن

السابع المجرى . قضى شطرا من حياته ببغداد ، وقد جاء في مقدمة شرحه « جعلت هذا الكتاب ، بعد كتاب الله وكلام رسوله ، مصباحا أستضيء به في الظلمات ، وسلبا أعرج به إلى طبقات السموات ، وقد فرغ منه في رمضان من عام ٦٧٧ هـ . وطبع ببلاد فارس سنة ١٢٧٤ هـ ويقع في نحو أربعائة صفحة من الحجم الكبير .

٣ — شرح ميرزا حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمي العلوي الموسوي الأزرجاني . وهو من علماء إيران . كان حيا في عام ١٣٠٣ هـ . وقد أهدى شرحه إلى شاه إيران مظفر الدين خان . وهذا الشرح ضخم جدا في أربعة أجزاء من الحجم الكبير يتألف كل جزء من أربعائة صفحة . طبع ببلاد فارس عام ١٣٥١ هـ وأطلق عليه اسم « منهاج البراعة ومشرع الفصاحة » .

٤ — شرح الشيخ محمد عبده وهو لا يقاس بالنسبة لغيره من الشروح إذ اقتصر فيه صاحبه على إيضاح الصعب من المفردات .

لقد اهتم أدباء الشيعة بشرح هذا الكتاب اهتماما كبيرا ، وبالغوا في الإسهاب والتطويل ، وملتوا شيوخهم بالخرافات والخزعبلات التي تضحك الشكلى .

منزله : ورد في مقدمة شرح حبيب الله لكتاب نهج البلاغة ما نصه « هو كتاب في الاتقان تلو الفرقان ، لكونه مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام ، وكلماته المشهورة على لسان المسلمين ، المشتمة على أثبات

الصانع، وإظهار البدائع، والتوحيد بالبرهان القاطع، والبيان النافع والحكمة والموعظة الحسنة، والقصص والأمثال .

وقال محمد حسن تايل المرصني : «اجتمع لعل (ع) في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء ، وأفذاذ الفلاسفة ، ونوابغ الربانيين من آيات الحكمة السامية ، وقواعد السياسة المستقيمة ، ومن كل موعظة ياهرة ، وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر . خاض على في هذا الكتاب لجنة العلم والسياسة والدين ، فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرزاً . ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العلم ، فليس في وسع الكاتب المسترسل ، والخطيب المصقع ، والشاعر المفلق أن يبلغ الغاية في وصفه ، والنهاية في تقريبه .»

وقال محمد عبده « تأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفات ، وموضوعات متفرقات . فكان يخيل لي في كل مقام أن حروباً شبت ، وغارات شلت . وأن للبلاغة دولة ، ولل فصاحة صولة ، وأن للأوهام عرامة ، وللريب دعارة ، وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، في عقود النظام ، وصفوف الانتظام تنافح بالصفائح الأبلج ، والقويم الأملج وتمتلج المهج بروائع الحجج ، فتفل من دعارة الوسائس ، وتصيب مقاتل الخوانس ، فما أنا إلا والحق منتصر ، والباطل منكسر ومرج الشك في خمود ، وهرج الريب في ركود . وأن مدير تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين على ابن أبي طالب .

« بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع . أحس بتغير المشاهد

وتحول المعاهد . فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية ، في حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية توحى إليها رشادها ، وتقوم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداخل النزال إلى جواد الفضل والكمال . وطورا كانت تنكشف إلى الجمل عن وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة ، وأرواح في أشباح النور ومخالب الدسور ، قد تحفزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب ، فغلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها . واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء .

أما بعد ، فقد أتيت هنا بأقوال ثلاثة رجال في كتاب نهج البلاغة وهي قطع مديح التي بغير حساب ظننا من كاتبيها أنهم يظفرون برضا الله ورسوله إن هم أزجوا هذا المديح . ولم يحاول أحد منهم أن يتناول النهج تناولا علميا يعود على القارئ بالنفع .

بحث وتحقيق : وقد رأيت لزاما على في هذا المقام أن أتناول نهج البلاغة بالبحث والتحقيق سالكا في ذلك سبيل العلماء الذين يفيدون القراء بما يقدمون لهم من حقائق ناطقة . أما هؤلاء الذين لا هم لهم إلا إرسال المدح والثناء فهمتهم هيئة لينة ، فما أيسر أن تقول « هو كتاب في الاتقان تلوه الفرقان » ، وما أسهل أن تنمق في مدحه الألفاظ كما نمقها الشيخان حسن نايل المرصفي ومحمد عبده . ولكن هذا لا يفيد القارئ في كثير أو قليل . وبما أتى لم أخرج هذا الكتاب لأمدح فيه أو أقدح ،

بل حرصت فيه كما يرى القارىء على إظهار الحقائق وإبرازها ، لذلك لم أسر في الطريق التي سار فيها هؤلاء المادحون .

صاحب النهج : في كتاب نهج البلاغة أمور كثيرة تجعلنا نشك في نسبة أكثر ما فيه إلى الإمام على . وهذا رأى سبقنا إليه القدماء . قال ابن أبي الحديد « كثير من أرباب الهوى يقولون إن كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة . وربما عزوا بعضه إلى الرضى أبي الحسين وغيره » .

غير أن القدماء لم يشرحوا لنا أسباب الشك . أجل ١ لقد أبدوا ارتياهم ثم صمتوا . وقد رأيت لزاما على أن أتناول أسباب الشك في نسبة ما في النهج إلى عليّ بشيء من التفصيل .

أسباب الشك :

(أولا) سبق أن ذكرنا أن نهج البلاغة قد ضم بين دفتيه ٢٤٢ خطبة وكلاماً ، ٧٨ كتاباً ورسالة ، ٤٩٨ حكمة . وهذا العدد الهائل لم يدون إلا في العصر العباسي . وليس من شك في أن حفظ هذا المقدار الضخم من الأمور المتعذرة . ومن هذه الخطب ما هو طويل جدا وليس من السهل وعيه وتذكر ألفاظه بعد أجيال . فقد بلغ عهد عليّ للأشتر النخعي مائتين وخمسين سطرا . وبلغت بعض خطبه مائتي سطر ، وبعضها ينقص قليلا عن المائتين . وإذا علمنا أن القرآن على عظيم خطره ، وجليل

شأنه كان مظنة أن يضيع لولم يتداركه المسلمون الأولون ، رأينا أنفسنا مسوقين إلى النظر بعين الارتياح فيما جاء منسوباً إلى علي في هذا الكتاب . وما الداعي إلى كتابة مثل هذا العهد المفرط في الطول ولم يكن الاشتهار غريباً عن علي بل كان من أقرب الناس إليه . ولم يسبق أن كتب أحد من الخلفاء عهداً في مثل هذا الطول ؟ ؟

(ثانياً) إذا أُلقيت نظرة على الخطب المنسوبة لعلي لم تتالك نفسك من الضحك ، وذلك لما جاء في كثير منها من أمور وقعت بعد عصر علي كقيام الدولة الأموية ، وسقوطها والقضاء على الأمويين قضاء مبرماً بغير رحمة ولا شفقة ، وقيام دولة بني البعاس ، وظهور الفتن والقلاقل وانتشار الحروب والثورات ، وترك الناس للدين وانغماسهم في الترف والنعيم . وقد سبق لنا أن أوردنا مثالا لذلك عند الكلام على « انتحال القول » ولا نرى بأساً من أن نورد للقارئ مثالا آخر ليزداد إيمانا على إيمان إن لم يكن قد اطلع على النهج . فما ينسب إليه قوله « فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فتنة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها »^(١) وقائدها ، وسائقها ومناخ ركبها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً ، ويموت منهم موتاً ،

ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية ، فإنها فتنة عياء مظلمة ، عمت خطتها وخصت بليتها ، وأصاب البلاء من أبصر فيها ، وأخطأ البلاء من عمى عنها . وإيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدى كالأب الضروس تعذبم فيها ، وتخط بيدها ، وتزبن برجلها

وتمنعُ درَّها . لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائرٍ بهم . ولا يزالُ بلاؤُهُم حتى لا يكونَ انتصارُ أحدكم منهم إلا كانتصارِ العبد من ربِّه ، والصاحب من مُستصحبِهِ . تردُّ عليكم فتنتُهُم شوهاً مخشيتةً ، وقطعاً جاهليَّةً ، ليس فيها منارٌ هُدى ، ولا علم يُرى ، نحن أهل البيت فيها بمنجاةً ، ولسنا فيها بدعاة . ثم يفرجُها الله عنكم . كتفريج الأديم بمن يسوئهم خسفاً ، ويسوقُهم عُفاً ، ويسقيهم بكأسٍ مُصبرةً ، لا يعطيهم إلا السيف ، ولا يجاسُهم إلا الخوف . فعند ذلك تودُّ قريشٌ بالدنيا وما فيها لو يروني مقاماً واحداً ، ولو قد رجزَ رجزاً قبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يُعطوني .

وأنت واجد خطبا كثيرة من هذا النوع . وهى من غير شك موضوعة ومحولة على الإمام على الذى لم يكن علام الغيوب . فهل هذه الخطب بلغت من الإتقان ما يجعلها تلو الفرقان ؟؟ وهل ترى فيها مارآه محمد عبده حين يقول « وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة فى عقود النظام ، وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج ، والقويم الأملج وتمتلج المهج بروائع الحجج ، فأين هو القويم الأملج ؟؟ وأين هى روائع الحجج ؟؟

(ثالثاً) وأمر ثالث يجعلك تزداد شكا وارتياها وهو أن كثيرا من الخطب اشتمل على علوم لم تعرف فى المجتمع الإسلامى إلا بعد عصر على بزم طويل ، كدقائق علم التوحيد ، وأبحاث الرؤية والعدل ، والتوسع فى كيفية كلام الخالق وابتعاده عن صفات الجسم وكيفيةاته ، وتنزهه عن مجانسة مخلوقاته ، كما تناولت موضوعات وصفية لم يطرقها

يسلبون إلا في عصور متأخرة كوصف الغلّة والخفاش والطاووس .
ومثال ذلك قوله من خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق
آدم ، الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصى نعماء العادون ،
ولا يؤدي حقه المجتهدون . الذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يتاله غوص
الظن . الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت
معدود ، ولا أجل ممدود . فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ،
ووتد بالصخور ميدان أرضه . أول الدين معرفته ، وكال معرفته التصديق
به ، وكال التصديق به توحيده ، وكال توحيده الإخلاص له وكال
الإخلاص له ، نفى^(١) الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ،
وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة فن وصف الله سبحانه وتعالى فقد
قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله . ومن
جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حده ، ومن حده فقد عده . ومن
قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال علام فقد أخلى منه . كائن لا عن حدث ،
موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة .
فاعل لا بمعنى الحركات والآلة ... الخ .

وفي هذه الخطبة اصطلاحات لم تعرف في عصر الإمام عليّ ، بل
عرفت بعده بقرون ، كما أن التعبيرات التي انطوت عليها هذه الخطبة لم تظهر
إلا على أيدي علماء الكلام في العصر العباسي . وعلاوة على ما تقدم فإنها
رتبت ترتيباً منطقياً يبدأ بمقدمة تنتهي إلى نتيجة هي نفى الصفات عن الله ،
وهذا أمر كان موضع خلاف شديد بين الفرق الإسلامية ولم يعرف إلا
في أيام العباسيين . فهي بلا ريب موضوعة على الإمام عليّ ، وهي ليست

(١) هذا كلام أرسطو الذي لم يعرف إلا بعد عصر الترجمة .

في الإتيان تلو الفرقان ، ولا أجد فيها ما وجده محمد عبده من الصفيح الأليج والقويم الأملج الذي يمتلج المهج بروائع الحجج .

(رابعا) وأمر رابع يجعلك تمنع في الشك وتسرف في الارتياب وهو أنك تجد في خطب كثيرة روحا غريبا عن الإسلام ، فيها تناقض مع أحكام الدين الخفيف وأصوله ، وفيها روح ضار جدا بالمجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية . ترى فيها دعوة إلى الرهينة وترك ما أحل الله من الطيبات في هذه الحياة الدنيا . ومثال ذلك قوله يخاطب شخصا يسمى «نوبا» طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة . أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا ، وتراها فراشا ، وماءها طيبا ، والكتاب شعارا ، والدعاء دثارا ، وقرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح بن مريم . فإن الله عز وجل أوحى إلى عبده المسيح بن مريم أن مر بنى إسرائيل ألا يدخلوا بيتا من بيوتى إلا بقلوب طاهرة ، وأبصار خاشعة ، وأيد نقية . فإنى لا أستجيب لأحد منهم دعوة لأحد من خلقى قبله مظلة . يأنوف لا تكونن شاعرا ولا عشارا^(١) ولا شرطيا ولا عريفا^(٢) ولا صاحب كوبة^(٣) ولا صاحب عرطبة^(٤) .

وليس من المعقول أن يصدر مثل هذا القول من على . وكيف ينهى الناس عن أن يكونوا شعراء ، وهو نفسه كان شاعرا ونسب إليه ديوان مشهور بين الناس ؟ كيف ينهى الناس عن أن يكونوا شعراء والإسلام أباح لهم ذلك ، والنبي كان ممن يطربون للشعر ويحرضون

(١) الذى يجمع العشور .

(٢) منصب دون الرئيس .

(٣) الكوبة الطبل .

(٤) عرطة : العود وهو من آلات الطرب .

على قوله ؟؟ وكيف ينهى على الناس عن أن يكونوا عشارين أو من رجال الشرطة ؟؟ ومن يجمع أموال الدولة ومن يسهر على حفظ الأمن والنظام فيها ؟؟ وفي هذه الخطبة تحريص على قرض الدنيا على منهاج المسيح بن مريم . وما شأن المسلمين بمناهج المسيح ولهم من سنة رسولهم خير مرشد وأفضل دليل .

لا شك في أن نسبة مثل هذه الخطبة للإمام على تحط من شأنه ، وتضع من منزلته . ونحن نجعل الإمام عليا ونزله عن قول مثل هذه الخطب التي لا أرى أنها في الإتيقان تلو الفرقان . ولا أرى فيها ما رآه محمد عبده من الصفيح الأبلج والقويم الأملج الذي يمتلج المهج بزوائع الحجج .

(خامسا) وأمر خامس يجعلك تجزم بأن جل ما في النهج ليس لعلّ وهو الاختلاف العظيم في أساليب الخطب . ترى كلاما مرسلا على سجيته بغير تكلف ولا تصنع ومثال ذلك قوله من إحدى خطبه « أنبئت بسرا قد اطلع البين ، وإنى والله لأظن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، وبمعصيتكم إمامكم في الحق ، وطاعتهم إمامهم في الباطل . . . الخ » .

على حين أنك ترى له نوعا آخر من الخطب يظهر فيه آثار الصنعة والتكلف المزدول ، والحرص الشديد على السجع وغير ذلك مما لم تعرفه العرب في عصر على ، بل عرف في عصور متأخرة جدا ومثال ذلك ما ينسب إليه « الحمد لله المعروف من غير رؤية ، والخالق من غير رؤية . الذي لم يزل دائما قائما إذ لا سما ذات أبراج ،

ولا حجبٌ ذات أرتاج ، ولا ليلٌ داج ، ولا بحرٌ ساج ، ولا جبل
ذو فجاج ، ولا فجٌ ذو إوجاج ، ولا أرضٌ ذات مهاد ، ولا خلقٌ
ذو اعتماد .

وقوله في وصف السماء « ونظم بلا تعليق رهوات فُرَجِّها ولاَحَمَّ
صدوع انفراجها ، ووشج بينها وبين أزواجها ، وذلل للهابطين
بأمره ، والصاعدين بأعمال خلقه حزونة معراجها ، ناداها بعد إذ هي
دخان فالتحمت عرى أشراجها . »

وانظر إلى الحرص على الجناس في قوله « أرسله لإِنفاذ أمره ،
وإنهاء عذره ، وتقديم نذره ، وأحصاءكم عددا ، ووظف لكم مددا ،
في قرار خبرة ، ودار عبرة . غرور حائل ، وضوء آفل ، وظل زائل ،
وسناد مائل . »

ثم تأمل قوله « فن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها
واحلوت له الأمور بعد مرارتها ، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها ،
وأسهلت له الصعاب بعد انصبابها ، وهطلت عليه الكرامة بعد
قحوطها وتحذبت عليه الرحمة بعد نفورها ، وتفجرت عليه النعمة بعد
نضوبها ، ووبلت عليه البركة بعد رذاذها . » ترى فقرا متساوية في
عدد كلماتها وفي التزام كلمة « بعد » في كل منها واشتمال كل فقرة على
طباق ، فضلا عن أنها تدور كلها حول معنى واحد . فالآثار الأدبية
التي وصلت إلينا من عصر عليّ تختلف عن هذا النمط المتكلف اختلافا
كبيرا وتبتعد عنه ابتعادا ظاهرا . وهذا شيء يرغمننا على رفض نسبة

تلك الخطب إلى الإمام على ، وهى ليست تلو الفرقان فى الإلتقان ، ولا أرى فيها ما رآه محمد عبده من الصفيح الأبلج ، والقويم الأملج الذى يمتلج المهج بروائع الحجج .

(سادسا) وأمر سادس يدفعك إلى رفض كثير مما ينسب لعلی ، وهو أنك ترى خطبا كثيرة فيها وصف للحياة الاجتماعية على نحو لم يعرف إلا فى عصور متأخرة . ترى فى هذه الخطب طعنا على الوزراء والأمراء والحكام والولاة والعلماء والقضاة ، طعنا شديدا فى السلوك والأخلاق وفى الذمم والضمائر ، ووصفا للقضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة . ومثال ذلك ما ينسب إليه « إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَّلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ ، ودُعَاءِ ضَلَالَةٍ . فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ أَقْتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنْ أَقْتَدَى بِهِ فى حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ . وَرَجُلٌ قَعَسَ جَهْلًا ، مُوضِعٌ فى جُفَاهِ الْأُمَّةِ ، عَادٍ فى أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ ، عَمٌّ بِمَا فى عَقْدِ الْهُدَى . قد سَمَاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ . بَكَرٌ فَاسْتَكْبَرَ مَنْ يَجْمَعُ مَاقِلَ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ، حتى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ وَاکْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ . فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّا لَهَا حَشْوًا رَثًا مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ . فَهُوَ مِنْ لُبْسِ الشُّبُهَاتِ فى مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَذْرِى أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ . فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ

أصابَ، جَاهِلٌ خَبَاطُ جَهَالَاتٍ، عَاشَ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ، لَمْ يَعْصَ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ، يُذَرِّي الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْمَهِيمِ، لَا مَلِيءٌ وَاللَّهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ. لَا يَحْسِبُ الْعِلْمُ فِي شَيْءٍ مَا أَنْكَرَهُ وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وِرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لغيرِهِ. وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرًا اكْتَسَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ نَفْسِهِ. تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءَ وَتَعِجُ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ. إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جَهَالًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا، لَيْسَ فِيهِمْ سَلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُتْلَى حَقٌّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا سَلْعَةٌ انْفَقَ يَبْعَا وَلَا أَغْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ. وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفٌ مِنَ الْمُنْكَرِ.

وَمَا يَنْسَبُ إِلَيْهِ وَفِيهِ وَصَفٌ لِحَالَةِ الْفُوضَى الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْقَضَاءُ وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَعْرِفْ إِلَّا فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ «تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حَكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بَعِينَهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيَصُوبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا. وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ. وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ. أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْاِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ؟ أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِمَامَتِهِ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى... الخ» فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَضَاءَ فِي أَيَّامٍ عَلَى كَانُوا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أُمَّةٌ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِمْ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ. وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَجَنٌ يَرْتَوُونَ مِنْهُ، بَلْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ سِوَى الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَظْهَرْ هَذَا الْاِخْتِلَافُ الْعَظِيمُ الَّذِي نَرَى صُورَتَهُ فِي هَذِهِ الْخُطْبِ، قَطَعْتَ بِأَنَّهَا مِنْ وَضْعِ قَوْمٍ عَاشُوا بَعْدَ عَلَى بَرَزَ مِنْ

طويل ، وكتبوا ما كتبوا ثم نسبوه إلى على اعتقادا منهم بأن فيها ما يرفع شأنه ويسمو بمنزلته . وهى من غير شك ليست فى الإتقان تلو الفرقان . ولم أجد فيها ما وجده محمد عبده من الصفيح الأبلج والقويم الأملج الذى يمتلج المهج بروائع الحجج .

(سابعاً) وأمر سابع يسلمك إلى الريبة فى هذا الكتاب . ترى فيه خطباً كثيرة تروى أموراً لا يقبلها العقل من شأنها لو صحت أن تؤيد حق على فى الخلافة . ومثال ذلك ما يلعب إليه : « ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله ، فقلت يارسول الله ما هذه الرنة ، فقال هذا الشيطان أيس من عبادته . إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست ببنى ، ولكنك وزير ، وإنك لعللى خير ، .

وقوله : « ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن رأسه لعللى صدرى . ولقد سالت نفسه فى كنى فأمرتها على وجهى ، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعوانى فضجت الدار والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج ، وما فارقت سمعى هينة منهم يصلون عليه ، حتى واريناه فى ضريحه ، فمن ذا أحق به حيا وميتا ، .

وأظن أن القارىء سيضحك معى حينما يقرأ « إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست ببنى ولكنك وزير ، وإنك لعللى خير ، . ومعنى هذا أن علياً كان يسمع الوحي كما يسمعه الرسول ويراه كما يراه الرسول لكنه ليس ببنى وإنما هو وزير ، ولا أدرى ما وظيفة الوزير هنا وما عمله ؟ . ولا شك فى أنك ستغرق فى الضحك حينما تقرأ « ولقد

وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعوانى فضجت النار والأفنية ،
ملاً يهبط وملاً يعرج ، ، فالملائكة هنا قد نزلوا من السماء أفواجا
يساعدون الإمام علياً في مهمته وهى غسل رسول الله . ولا جدال فى
أن علياً أعقل بكثير من أن يرسل مثل هذا القول . وليس فى نسبته
إليه ما يشرفه . وكيف يقال بعدئذ إن نهج البلاغة فى الاتقان تلو الفرقان ؟
وهل فى مثل هذا رأى محمد عبده الصفيح الأبلج والقويم الأملج يمتلج
المهج بروائع الحجج ؟ .

(ثامناً) وأمر ثامن يجعلك ترتاب فيما جاء بنهج البلاغة منسوباً
إلى الإمام على . وهو أنك تجد خطباً طال فى صدرها حمد الله ، وهذه
عادة لم تعرف إلا فى العصر العباسى فى خطب الجمع والأعياد التى تلقى
فى المساجد ، ولم تظهر قط فى أيام على . ومثال ذلك « الحمد لله كلما وقب
ليل وغسق ، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق ، والحمد لله غير مفقود الإنعام
ولا مكافئ الإفضال ، وغير هذا كثير .

(تاسعاً) وأمر تاسع يريبك فيما ورد منسوباً لعلى فى نهج البلاغة
وهو أنك تجد خطباً فيها ذكر الوصى والوصاية ، مع أن علياً لم يقل هذا
قط ولم تظهر خرافة الوصى إلا بعد مقتله . ومثال ذلك قوله وقد عني
آل البيت « هم أساس الدين ، وعماد اليقين ، إليهم ينفع الغالى ، وبهم
يلحق التالى ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة » ،
وقوله « ومالى لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها فى
دينها .! لا يقتصون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصى » ، فهل كانت فى
عصره تلك الفرق التى يشير إليها ؟ أم أنها ظهرت بعده بزمان غير قصير ؟ -

(عاشرا) وأمر عاشر يقودك إلى الرية في نسبة ما جاء في النهج إلى علي ، وهو أنك تجد خطبا فيها معنى واحد عبر عنه بما يزيد على عشر جمل ومثال ذلك قوله : « لا انفصام لعروته ، ولا فك لحلقته ، ولا انهدام لأساسه ، ولا زوال لدعائمه ، ولا انقلاع لشجرته ، ولا انقطاع لمدته ، ولا عفاء لشرائعه ، ولا جذ لفروعه ، ولا ضنك لطرقه ، ولا سواد لوضحه ، ولا عوج لاتصابه ، ولا عص^(١)ل في عوده ، ولا وعت لفجحه ، ولا انطفاء لمصايحه ، ولا مرارة لحلاوته ، فهذا إسهاب عمل وإسفاف لافائدة منه ولا خير فيه ، وهو بما لم يعرفه المسلمون الأولون .

في الميزان : أما بعد ، فقد وضعنا نهج البلاغة أمامك في الميزان ، وأطلعناك على ما يشككنا في نسبة أكثر ما جاء فيه إلى علي ، وضررنا للناس الأمثال لعلهم يقتنعون . وهناك خطب قليلة باقية فيها روح على ولكنها لم تسلم من التحريف والتصحيف والتقديم والتأخير والزيادة والنقصان ، وذلك أمر طبيعي في كل ما تأخر تدوينه من الخطب والرسائل وإنك ليجد هذه الخطب القليلة رويت بروايات فيها اختلاف كبير .

أما الأمثال والحكم فعظمها هندی وفارسی عرفه العرب بعد عصر الترجمة . ولا أدري كيف نسبوها إلى علي ؟ .

خطباء آخرون

كان أئمة الشيعة ينشرون دعوتهم بين الناس سرا، فلم يجدوا أمامهم مجالا للقول فيقولوا، ولا محلا للخطابة فيخطبوا . ولم يظهر بعد على من الخطباء سوى الحسن والحسين . وجل ما ينسب إليهما موضوع - وليت شعري من الذي روى خطبة الحسين في كربلاء وقد استشهد كل من معه من الرجال، ٩٤ .

ولفاطمة خطب تنسب إليها وقد روى عنها كثيرا من الأحاديث، ولعلي بن الحسين رسالة تعرف برسالة الحقوق . وعلى الجملة فقد اجتهد أدباء الشيعة في وضع الخطب والرسائل وجمع الحكم والأمثال والأدعية ونسبتها لأئمتهم .

الباب الثالث

الفصل الأول

في الشعر

انتحال الشعر

نشط أدباء الشيعة نشاطاً عظيماً في وضع الشعر الذي يرفع من شأنهم ويقوى من دعائم مذهبهم . ويحط من شأن أعدائهم . وأجروا هذا الشعر على ألسنة أئمتهم وعلى ألسنة قوم آخرين . وقد كثر ذلك الشعر حتى شغل مكاناً بيننا في الأدب العربي . وكانوا أحياناً يزيدون في قصائد بعض الشعراء ما يؤيد رأيهم ويدعم حججهم في الخلافة وحق علي فيها . وقد ظهر هذا الانتحال في مظاهر مختلفة .

(١) شعر أبي طالب

لقد وضعوا كثيراً من القصائد ونسبوها إلى أبي طالب ليثبتوا بذلك إسلامه ، وحسن بلائه في الدين ودفاعه عن النبي وحمايته له ، وجهاده في سبيل الإسلام ، فما ينسب إليه قوله :

ولما رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهم وقد قَطَّعُوا كلَّ العرى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأوعُوا أمرَ العدوِّ المزايلِ

ومنها :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ تُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعَنُ دُونَهُ وَتُنَاضِلِ
وَنَسْلُمُهُ حَتَّى تُصَرَّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنِ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَالِ
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
نهوضَ الرّوايا^(١) تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ^(٢)

ومنها :

وَأَيُّضَ^(٣) يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالِ^(٤) الْيَتَامَى عَصْمَةً لِلْأَرَامِلِ
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ^(٥) مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
وَنَحْنُ الصِّمِيمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ وَآلِ قُصَيٍّ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
وَسَهْمٍ وَخَزُومٍ تَمَالَوْا فَأَلْبُوا عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طَمْلٍ وَخَامِلِ
فَعَبْدَ مَنْافٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ فَلَا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلِّ وَاعِلِ

وهي طويلة أورد منها ابن هشام أربعة وتسعين بيتاً ثم قال : « هذا
ما صح لي من هذه القصيدة . وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها » .

ومثال آخر مما ينسب إلى أبي طالب .

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوسَدَ فِي التَّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وَأَنْشُرْ بِذَاكَ وَقَرَّ مِنْكَ عُيُونَا

(١) جمع راوية وهو البعير أو البغل .

(٢) وذات الصلاصل هي المزايدة التي ينقل فيها الماء ، والصلاصل جمع صلصلة بضم
الصادين وهي بقية الماء في الاداوة .

(٥) الفقراء والصعاليك .

(٤) العباد .

(٣) كريم .

وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِينَا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْحَقَاقَةُ أَنْ يَكُونَ مَعَرَةً لَوَجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ أَمِينَا
ففي هذا الشعر تكلف ظاهر وتصنع واضح . ترى فيه أبا طالب
يظهر استعداداه للموت في سبيل الرسول ويأمره بالاستمرار في نشر
الدين في غير خوف ولا وجل ويعترف له بالصدق في دعواه ويقر بأن
الإسلام من خير أديان البرية دينا . هو يعترف بذلك كله ويؤمن به
ولكنه لا يعتنق الإسلام خشية العار . وأى عار هذا الذى خشيه
أبو طالب ولم يخشاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحزرة وغير هؤلاء من
عظماء قريش وغير قريش . لو أن أبا طالب آمن حقا كما يظهر من هذا
الشعر ، لجاهر بذلك ولأعلن إسلامه كما أعلنه غيره من قبل ومن بعد .
وكيف يخشى المؤمن الناس والله أحق أن يخشاه ؟ ؟

(٢) شعر على

ونظموا شعرا كثيرا ونسبوه إلى الإمام على . ومثال ذلك ما روى
من أن معاوية كتب إلى على رسالة جاء فيها .
إن^(١) لى فضائل كثيرة ، كان أبى سيدا فى الجاهلية ، وصرت ملكا
فى الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخال المؤمنين
وكتاب الوحى . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أيا الفضائل تفتخر
على يابن آكلة الأكباد ؟ أكتب إليه يا غلام .

محمدُ النبيُّ أخِي وصهرِي وحمزةُ سيِّدُ الشهداءِ عَمِي
 وجعفرُ الذي يُضجِي ويُنسي يَطِيرُ مع الملائكةِ ابنُ أُمِّي
 وبلتُ محمدٍ سَكَنِي وعَرَسِي مشوبٌ لحمُها بدمِي ولحمِي
 وسبطُ أحمدٍ ولدائِ منها فأَيُّكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي
 سَبَقْتُكُمْ إلى الإسلامِ طرا صغيرا ما بَلَغْتُ أَوَانَ حُلُمِي
 وأوصاني النبيُّ على اختيارِ يَبِيعُهُ غَدَاةَ غَدِيرِ خُمٍ
 فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ لمن يَلْقَى الإِلهَ غَدَاً بظُلُمٍ
 قال^(١) أبو عثمان المازني : لم يصح عندنا أن علي بن أبي طالب عليه
 السلام تكلم من الشعر بشيء غير هذين البيتين :

تلكم قريشٌ تَمْنَانِي لَتَقْتُلَنِي ولا وَجَدْتُكَ مَبْرُوءًا وَمَا ظَفِرُوا
 فَإِنْ هَلَكْتُُ فَرَهْنُ ذِمَّتِي لَهُمْ بذاتِ رَوْقَيْنِ^(٢) لَا يَعْفُو لَهَا أَثَرُ
 وحكى عن يونس النحوى أنه قال : ما صح عندنا ولا بلغنا أنه قال
 شعرا إلا هذين البيتين . ولكن صاحب الأغاني^(٣) ذكر في ترجمة حسان
 ابن ثابت ما يفيد أن عليا كان يقول الشعر . قال « كان يهجو رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله بن الزبيري ،
 وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمر بن العاص . فقال قائل
 لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه : اهيج عنا القوم الذين قد هجونا ،
 فقال علي رضي الله عنه : إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) معجم الأدباء ج ١٤ ص ٢٦ - (٢) يقال داهية ذات روقيين أو ذات ودقين
 إذا كانت عظيمة (٣) الأغاني ج ٤ ص ١٣٧

فعلت ، فقال رجل : يا رسول الله ، أئذن لعلّي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . قال « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » .

وأقول ربما كان على يقول البيت أو البيتين من حين إلى حين ، ولكنه لم يكن كفؤا للوقوف أمام شعراء المشركين . وإن الذي سأل عليا هجاء المشركين كان يجهل مكانة علي في الشعر وظنه قادرا على الرد على المشركين . ونرى علياً يقول لمن سأله : إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت . فكأنه كان واثقا من أن الرسول لن يأذن له بذلك . وقد تحقق ظنه ، فقال النبي عنه « ليس عنده ذلك » .

وعلى كل ، فمن المحقق أن الشعر الذي وصلنا منسوباً لعلّي ليس له ، وإنما هو من وضع نفر من أدباء الشيعة ، وجل شعره الذي ينسب إليه ، ضعيف الأسلوب والتركيب ، واهى النسيج والتأليف ، يدرك المرء لأول وهلة أنه وضع في عصور متأخرة . فالفرق عظيم بين أسلوب هذا هذا الشعر ، وأسلوب الشعر في أيام علي بن أبي طالب . ولو أنك تأملت في هذه القصيدة التي مرت بك لا يفتن أنها ليست لعلّي لا سيما البيتين الأخيرين منها . فعلى يقول إن النبي اختاره وصيا على المسلمين من بعده . ولو أن الأمر كان كما قال لسلم له المسلمون بالخلافة ، ولما نازعه فيها أحد . ولكن قصة غدير خم خرافة اختلقها الشيعة بعد عصر علي وأسندوها إلى ابن عباس . قالوا : روى ابن عباس رضى الله تعالى عنه أن آية « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، نزلت في عليّ كرم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه وتعالى رسوله أن يخبر الناس بولايته فتخوف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا : حابي ابن عمه وأن يطعنوا

في ذلك عليه . فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية ، فقال بولايته يو
غدير خُم « وهو موضع بين مكة والمدينة ، وأخذ بيده فقال عليه الصل
والسلام : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، و
من عاداه . »

لا ريب في أن هذه أسطورة وضعها الشيعة وتكلفوا في وض
شططا ، فرموا النبي بالجبن والخوف وما نعلم عنه ذلك ، لأن سيرته عل
السلام المثل الأعلى في الشجاعة والإقدام . ولم يكن النبي ليخشى الناء
والله أحق أن يخشاه . وكيف يأمر الله رسوله بإخبار الناس بولاية
ويتقاعس النبي عن هذا التبليغ ؟؟ ولم لم يذكر الله عليا في القرآ
صراحة إن أراد ولايته ؟؟ .

والشعر المنسوب لعلي مجموع في ديوان مطبوع ومتداول بين الناء
وقد اهتم كثير من أدياء الشيعة بجمعه وطبعه . ولنضرب للقارىء مث
آخر مما ينسب لعليّ .

نصرَ الحجارة من سفاهة رأيي ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ
فصدتُ حينَ تَرَكْتُهُ متَجَدِّلاً كالجدعِ بينَ دَكَاذِكُ وروايِ
وعفقتُ عن أثوابي ولو اتَّني كنتُ المقطَّرُ بَرَّني أثوابي
لا تحسبنَّ اللهَ خاذلَ ديني ونبيي يا معشرَ الأحزابِ

قال ابن هشام : « وأكثر أهل العلم بالشعر يشك في نسبتها لعليّ ؛
أبي طالب ، وقد أورد ابن هشام في سيرته قصائد كثيرة تنسب لعليّ ؛
عقب على كل منها بمثل ما عقب على تلك القصيدة .

ولا أرى بأساً من أن أضع بين يدي القارىء مثلاً ثالثاً وهو قوله :
 مالا يكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ أبداً وما هو كائنٌ سيكونُ
 سيكونُ ما هو كائنٌ في وقته وأخو الجهالة متعبٌ محزونٌ
 يسعى القويُّ فلا ينالُ بسعيهِ حظاً ويدركُ عاجزٌ موهُونٌ
 فهذا كلام في القدر لم يعرفه المسلمون الأولون إنما عرفوه عند بدء
 ظهور علم الكلام ، وهذا بعد على بزمان طويل . ثم إن هذا نظم وليس
 بشعر . هو نظم العلوم الذي لم يظهر إلا في أيام العباسيين .
 وآخر مثل أسوقه للقارىء هو ما روى من أن علياً سمع ناقوساً
 يضرب فقال لمن معه ، أتدرون ما يقول هذا الناقوس ، قالوا لا ، قال
 فإنه يقول :

نَلْنَا الدُّنْيَا فَاسْتَهْوَيْنَا فَاسْتَهْوَيْنَا وَأَذْنَبْنَا
 وَاسْتَبَدَلْنَا لَنَا نَدْرَى فِيهَا إِلَّا لَوْ قَدْ مُتْنَا
 وَاسْتَبَدَلْنَا دَارَا تَبَقَى جَهْلًا مَنَا دَارَا تَفَقَى
 يَا ابْنَ الدُّنْيَا زَنْ بِالْدُّنْيَا وَزَنَا وَزَنَا وَزَنَا
 يَا ابْنَ الدُّنْيَا تَفَقَى الدُّنْيَا قَرْنَا قَرْنَا قَرْنَا

وهذا أسلوب غريب لم يألفه المسلمون الأولون الذين كانوا يرسلون
 القول على أشد ما يكون قوة ومتانة وروعة وجلالة . أما هذا الشعر
 الضعيف المبتذل الذي يكرر فيه صاحبه الالفاظ إلى درجة الإسفاف ،
 والذي يصنعه صاحبه ويجهد نفسه في صنعته ، ويتكلفه ويتعب نفسه في
 تكلفه فلم يخلق إلا في أواخر أيام بني العباس . وقد رتب واضع هذا

الشعر المقدمة ومهد لشعره بقصة صغيرة لجعل عليا يمر ويسمع ناقوسا
ويسأل أصدقاءه عما إذا كانوا يعرفون ما يقول هذا الناقوس فيردون
عليه بالنفي ، عندئذ يخبرهم بما يجهلون بتلك الآيات التي قدمناها .
وعلى الجملة فكل ما جاء في ديوان علي بن أبي طالب يمكن أن يرفض
كما رفضنا ما تقدم .

(٣) على السنة أعدائهم

ووضعوا شعرا كثيرا فيه إعلاء من شأن علي وإشادة بشجاعته
وإقدامه ، واعتراف بحقه في الخلافة ، وأجروا هذا الشعر على السنة
أعدائهم . فن أمثلة ذلك ما ينسب إلى غلام من بني ضبة كان يحارب في
صفوف عائشة وهو :

نحن بني ضبة أعداء علي ذاك الذي يعرف قدما بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل علي بالعمي
لكنني أنعى ابن عثمان التقي إن الولي طالبُ ثار الولي
فأنت ترى في هذا الشعر اعترافا صريحا بحق علي في الوصاية ،
وإشادة بمزاياه وفضله وما وهبه الله من حميد الصفات وكريم الخلال
التي لم يستطع هذا الفتي الذي كان يحارب ضد علي أن يتناساها ، بل
جاهر بها في شعره . ولو أن قائل هذا الشعر كان يؤمن بحق علي في الخلافة
ويقر بفضله لما حارب ضده مع قوم كانوا يريدون إهلاكه والقضاء
عليه والظفر به . ومن هنا نستطيع أن ندرك أن هذا الشعر من وضع
الشيعة أنفسهم .

ولنضرب للقارىء مثلاً آخر. قيل أن عمراً تعرض لعلی فی يوم من أيام صفین ، فحمل علیه علیّ حملة کاد یقضى علیه ، عندئذ ألقى عمرو بنفسه من علی فرسه ورفع ثوبه ، وشغل برجله فبدت عورته فصرف علیّ وجهه عنه ، وقام معفراً بالتراب هارباً علی رجلیه ، معتصماً بصفوفه .. فقال معاوية :

ألا لله من هفوات عمرو یعائنی علی ترکي برأی .
 فقد لآقی أبا حسن علیاً قَاب الوائلي مَابَ خازي
 فلو لم یُبدِ عورته للآقی به لیثا یذلل کلّ نازی .
 له کف کَانَ راحتيها منایا القوم یخطف خطفَ بآزی
 قيل فغضب عمرو وقال : ما أشد تعظیمک علیاً فی أمری هذا .
 هل هو إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه . أفتری السماء قاطرة لذلك دما .
 قال ولكنها تعقبک جبناً . ولما شمت معاوية بعمر و قال عمرو فی ذلك .
 معاوی لا تشمت بفارس بهمة لقی فارساً لا تغتریه الفوارسُ
 معاوی إن أبصرت فی الخیل مُقبلاً أبا حسن یهوی دَهْکَ الوَسَّوسُ
 وأیقنت أن الموت حق وأنه لنفسک إن لم تمض فی الركض خالسُ
 فإنک لو لآقینه كنت بومة أتیح لها صقر من الجو آیسُ
 وماذا بقاء القوم بعد اختیاطه وإن أمراً یلقی علیاً لآیسُ
 دعاک فصمت دونه الأذن هارباً بنفسک قد ضاقت علیک الآمالسُ
 وتشمت بی أن نالنی حد رجمه وعَضَضنی نابٌ من الحرب ناحسُ

(١) روى أن علیاً طلب من معاوية أن ینجرج لمبارزته فرفض .

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْتُ غَايَةً أَبُو أَشْبَلٍ تُهْدَى إِلَيْهِ الْعَرَائِسُ
وَرَوَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ حَرَصَ بَعْضَ النَّاسِ عَلَى لِقَاءِ عَلِيٍّ وَمُبَارَزَتِهِ
وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ :

يَقُولُ لَنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ	أَمَّا فِيكُمْ لَوَاتِرِكُمْ طَلُوبُ
يَشْدُو عَلَى أَبِي حَسَنِ عَلِيٍّ	بِأَسْمَرَ لَا تُهْجِنُهُ الْكَعُوبُ
لِيُشْجِرَهُ بِأَبْيَضَ مَقْضِيٍّ	وَنَقْعُ الْحَرْبِ مَطْرِدٌ يَوْبُ
فَقُلْتُ لَهُ أَتَلْعَبُ يَا ابْنَ هَنْدٍ	كَأَنَّكَ يَدْنَانَا رَجُلٌ غَرِيبُ
أَتُغَرِّبُنَا بِحِجَّةِ بَطْنِ وَادٍ	أَتَيْسَحُ لَهُ بِهِ أَسَدٌ مَهِيبُ
بِأَضْعَفَ حِيلَةٍ مِنَّا إِذَا مَا	لَقِينَاهُ وَلُقِيَاهُ عَجِيبُ
سَوَى عَمْرٍو وَقْتَهُ خُصْمَتَاهُ	وَكَانَ لِقَائِهِ مِنْهُ وَجِيبُ
كَانَ الْقَوْمَ لَمَّا عَايَنُوهُ	خِلَالِ النَّقْعِ لَيْسَ لَهُمْ قُلُوبُ
كَعَمْرٍو أَيُّ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ	وَمَا ظَنُّي سَتَلَحُّقَهُ الْعُيُوبُ
لَقَدْ نَادَاهُ فِي الْهَيْجَا عَلِيٌّ	فَأَسْمَعَهُ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُ

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَ شُعْرَاءِ الشَّيْعَةِ أَرَادَ الْإِشَادَةَ بِشَجَاعَةِ عَلِيٍّ لَمَّا
اسْتَطَاعَ أَنْ يَقُولَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُقَابَلَ عَمْرٍو
عَلِيًّا فَيُكْشَفَ أَوْهَامُ عَوْرَتِهِ ، عِنْدَ مَا يَحْسُ بِخَطَرِ الْمَوْتِ ، لِيَنْجُو بِنَفْسِهِ مِنَ
الْهَلَاكِ الْحَقِيقِ . لَيْسَ مَعْقُولًا أَنْ يُصْدِرَ هَذَا مِنْ رَجُلٍ فِي مَرْكَزِ عَمْرٍو بْنِ
الْعَاصِ . وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا أَنْ يُعِيرَهُ مَعَاوِيَةُ بِتِلْكَ الْحَادِثَةِ . وَفَضْلًا عَمَّا تَقْدِمُ
فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا .

وإنك لتجد في شرح ابن أبي الحديد^(١) كثيرا من القصائد التي تنسب إلى معاوية وعمر بن العاص وابن عباس والوليد بن عقبة . وكل هذه القصائد فيها مدح كثير للأمام ، وتعظيم لشأنه تعظيما فيه مبالغة وإسراف . وهذا شيء لا ينتظر من قوم عرفوا بشدة بغضهم لعلی ، والإمعان في الكيد له ، والتقليل من خطره ، والتهوين من أمره ، والخط من شأنه .

وقد أسرف أدباء الشيعة في وضع مثل هذه القصائد حتى أنهم وضعوا شعرا ونسبوه إلى جبريل . روى أن الناس في غزوة أحد ، لما تفرق المسلمون عن النبي ووقف على يذود عنه ويرد عادية المشركين ، سمعوا صائحا يصيح في السماء بهذا البيت .

لَا سِيفَ إِلَّا ذُو الْقَعَا . يَبُولَا قَيَّ إِلَّا عَلِي
فَسَأَلُوا النَّبِيَّ فَقَالَ ذَاكَ جِبْرَائِيلُ^(٢) .

(٤) كفر ومجون

كما أنهم وضعوا شعرا كثيرا فيه كفر والحاد ، وفيه خلاعة ومجون ونسبوه إلى اعدائهم من خلفاء بني أمية . ومثال ذلك ما وضعوه على يزيد ابن معاوية .

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدِ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَرْجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلُ
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا زَيْدُ لَا تُثَلِّ
لِعَبْتِ هَاشِمُ بِالْمَلِكِ فَلَا خَبْرُ جَاءَ وَلَا وَحْيُ نَزَلَ

(٢) شرح ابن أبي الحديد .

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٦ ص ١١١ .

لستُ من خندف إن لم انتقم من بنى أحمد ما كانَ فعرا
فليس بما يعقل أن يصدر مثل هذا القول من رجل يحكم الناس باسم
الدين، ويسيطر عليهم باسم الدين، ويخضعهم باسم الدين. نعم ليس ما
المعقول أن يطعن يزيد في الإسلام الذي لولاه لما كانت هناك خلاه
ولما كان هناك سلطان. وإذا صدقنا أن يزيد كان فيما بينه وبين نفسه
ملحدا، فلا نستطيع أن نصدق أنه يجاهر بهذا ويصرح به في مثل
هذا الشعر.

ومثل آخر أسوقه للقارىء وهو قول أحد أنصار معاوية مخاطبا لياه
أعط عمرا إن عمرا تارك دينه اليوم لدنيا لم تحز
أعطه مصرا وزده مثلها إنما مصر لمن عز. وبز
إن مصرا لعللى أو لنا يغلب اليوم عليها من يحز
ففي هذا الشعر ترى أن عمرا ترك دينه وباع آخرته بدنياه
وفضل العاجلة على الآجلة، وذلك بنصره معاوية في حربه ضد على
وليس بما يصدق العقل أن يجرؤ أحد أتباع معاوية على مخاطبة سيده بمثل
هذا القول.

ومثال آخر وهو بما يناسب إلى عمرو بن العاص.

لما تعرّضت الدنيا عرّضت لها بحرص نفسي وفي الأَطباع أذهان
نفس تعف وأخرى الحرص يغلبها والمرء يأكلُ تبنا وهو غرّتان
أما على فدين ليس يشركه دنيا وذاك له دنيا وسُلطان
فاخترت من طمعى دنيا على بصّر. وما معى بالذى اختار برهان

إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا فِيهَا وَأَبْصُرُهُ وَفِيَّ أَيْضًا لَهَا أَهْوَاهُ أَلْوَانُ
لَكِنَّ نَفْسِي تُحِبُّ الْعَيْشَ فِي شَرَفٍ وَلَيْسَ يَرْضَى بِذَلِكَ الْعَيْشَ إِنْسَانٌ
وَلَيْسَ أَبْعَدُ إِلَى الذَّهْنِ مِنْ تَصْدِيقِ صَدُورٍ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ
شَخْصٍ كَعَمْرٍو عَرَفَ بِمِيلِهِ الشَّدِيدِ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَانْصَرَفَهُ عَنْ عَلِيٍّ . وَهُوَ
لَمْ يَجِدْ فِي ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا خُرُوجًا عَنِ الدِّينِ ، وَلَمْ يَرَأْ أَنَّهُ اخْتَارَ الدُّنْيَا
وَأَعْرَضَ عَنِ الْآخِرَةِ ، بَلْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْخُلَاقَةَ سُلْطَةُ زَمْنِيَّةٍ يَتَسَلَّمُ
مُقَالِيدَهَا مِنْ يَصْلَحُ لَهَا مِنَ النَّاسِ . وَمَعَاوِيَةُ فِي نَظَرِهِ كَانَ صَالِحًا لَهَا ، فَإِنْ
قَصَرَهُ انْتَهَزَ مِنْهُ أَحْسَنَ الْجُزَاءِ ، وَأَعْظَمَ الْعَطَاءِ .

وَمِنْ ^(١) أَمْثَلَةِ هَذَا الشَّعْرِ مَا رَوَى عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ مِنْ أَنَّهُ دَعَا ذَاتَ
لَيْلَةٍ بِمَضْحَفٍ ، فَلَمَّا فَتَحَهُ وَافَقَ وَرَقَةً فِيهَا « وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ
عَنِيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ » فَقَالَ : أَسْجَعَا سَجْعًا !!
عَلَّقُوهُ ، ثُمَّ أَخَذَ الْقَوْسَ وَالنَّبْلَ فَرَمَاهُ حَتَّى مَرَقَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

أَتَوَعَّدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَهِيَ أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ
إِذَا لَاقَيْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حُسْرٍ فَقُلْ لِّلَّهِ مَرْقِي الْوَلِيدُ

وَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَصْدُرَ هَذَا مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ مَعَ اعْتِرَافِنَا
بِأَنَّهُ كَانَ يَمِيلُ إِلَى اللّٰهُوِّ وَالْمَجْنُونِ ، لِأَنَّهُ هُوَ الْقَاتِلُ :

أَشْهَدُ أَنَّ الدِّينَ دِينُ أَحَدٍ فَلَيْسَ مِنْ خَالَفِهِ بِمُهْتَدِيٍّ
وَأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَرْشِ الْقَادِرِ الْفَرْدِ الشَّدِيدِ الْبَطْشِ
أَرْسَلَهُ فِي خَلْقِهِ نَذِيرًا وَبِالْكِتَابِ وَاعْظَا بِشِيرَا

ليظهر الله بذلك الدينَا وقد جُئنا قبلُ مُشركينا

فآثار التكلف ظاهرة على تلك القصة بوضوح وجلاء، فواضعها جعل الوليد يطلب مصحفاً لغير ما سبب، ثم يفتحه، وهنا يظهر التصنع الذي يجعل نظر الوليد أول ما يقع على آية «واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد...» ثم تدرج صانع هذه الأسطورة، فجعل الوليد يقول: أجمعاً نجماً علقوه، ثم جعله يأخذ النبل ويرميه حتى يمزقه، ثم أنطقه بهذا الشعر الذي سقناه. ومهما يكن دين الوليد، فمن المستبعد أن يقول «ها أنا ذاك جبار عنيد».

ومثل آخر نسوة للقارىء وهو ما حكى عن الوليد من أنه سمع صياحاً فسأل عنه ف قيل له: هذا من دار هشام يبيكه بناته فقال:

إني سمعتُ بليلاً ورا المصلى برنة
إذا بناتُ هشام يندبن والدهنة
يَندبن قرماً جليلاً قد كان يعضدُهنة
أنا المَخَنَّتُ حَقّاً إن لم أُنِكَّهنة

فظاهر أن البيت الأخير لا يمكن أن يصدر من الوليد. فبنات هشام هن بنات عمه وهو أحق الناس بالمحافظة على أعراضهن.

وقد نسبوا له شعراً ثبت أنه لغيره من شعراء الجون. ومثال ذلك ما رواه صاحب الأغاني «خرج الوليد بن يزيد من مقصورة إلى مقصورة

فإذا هو ببنت له معها حاضنتها فوثب عليها فاقترعها ، فقالت له : إنها
المجوسية ، قال : اسكتي ثم قال :

من راقبَ الناسَ ماتَ غمًّا وفازَ باللَّذَةِ الجسورُ
قال أبو الفرج ^(١) : « وأحسب أنا أن هذا الخبر باطل ، لأن هذا
الشعر لسلم الخاسر ، ولم يدرك زمن الوليد ، » .

الفصل الثاني

الشعر عند الشيعة

لقد أغنت حركة التشيع الشعر العربي إلى حد كبير . وكان الشعر الناتج عنها شعرا غزيرا قويا . وسبب ذلك أن الموقف الذي وقفه الشيعة من شأنه أن يلهب العاطفة ويهيئها ويتيرها . والعاطفة أكبر دعامة من دعائم الشعر . وكان للشيعة عواطف بارزة قوية يرجع إليها الفضل في كثرة ما وصلنا عنهم من شعر . العاطفة الأولى عاطفة الغضب ، فإنهم اعتقدوا أنهم سلبوا حقهم وغصبوه . واعتدى عليهم ظلما فحنقوا وغضبوا ، ودفعهم الغضب إلى أن يقولوا شعرا فياضا بالحنق والغيط على هؤلاء المغتصبين .

أما العاطفة الثانية فهي عاطفة الحزن على ما حل بهم من نكبات جسام ، وما وقع عليهم من مصائب عظام طوال حكم الأمويين والعباسيين . والعاطفة الثالثة عاطفة الحب الشديد لآل البيت ، هذا الحب الذي أخذ يزداد بمرور الأيام ويقوى كلما اشتد اضطهاد الأمويين والعباسيين لأنتمهم .

وإذا نظرنا إلى الشعر عند الشيعة وجدنا أغراضه تنحصر في الأمور الآتية :

(١) المدح

مدح شعراء الشيعة أمتهم بقصائد رائعة ، أظهروا فيها جهم وعطفهم لآل البيت ، وإخلاصهم لهم وولاءهم . وقد كان هذا المدح في أول الأمر ساذجا لا غلو فيه ولا إسراف . ومثال ذلك ما ينسب إلى حجر بن عدي الكندي يمدح علياً يوم الجمل :

يا ربنا سلم لنا علياً سلم لنا المبارك المضيئاً
المؤمن الموحّد التقيّاً لا خطل الرأي ولا غويّاً
بل هادياً موفّقاً مهديّاً واحفظه ربّي واحفظ النبيّ
فيه فقد كان له وليّاً ثم ارتضاه بعده وصيّاً

وربما كان البيتان الأخيران قد أضافهما أحد الشيعة بمن عاشوا بعد عصر عليّ .

ومثل آخر من المدح وهو ما ينسب إلى أحد شعراء الشيعة يذكر نفور قومه إلى عليّ :

نُوقِرُهُ فِي فَضْلِهِ وَنُجِلُّهُ وَفِي اللَّهِ مَا نَرْجُو وَمَا نَتَوَقَّعُ
دَلَفْنَا بِجَمْعِ آثَرِ الْحَقِّ وَالْهُدَى إِلَى ذِي تُقَى فِي نَصْرِهِ نَتَسَرَّعُ
نَكَافِحُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ شَهِيرَةٌ تُصَافِحُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ فَتَقْطَعُ

ثم أخذ الشعراء يغفلون في المديح شيئاً فشيئاً . ومثال ذلك ما ينسب للفرزدق في مدح^(١) علي بن الحسين . روى أن هشاماً حج قبل أن يلى

الخلافة ، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه ، وجاء على بن الحسين فوقف له الناس وتحتوا حتى استلمه فقال أهل الشام لهشام : من هذا يا أمير ؟ فقال : لا أعرفه . فقال الفرزدق : لكني أعرفه ، هذا على بن الحسين . وأنشأ يقول :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهمُ	هذا النقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
إذا رأيته قريشُ قالَ قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
إن عدَّ أهلُ القرى كانوا ذوى عددٍ	أوقيلُ من خير أهل الأرض قيل همُ
فليسَ قولك من هذا بضائره	العربُ تعرفُ من أنكرت والعجمُ
هذا ابنُ فاطمة إن كنت تجهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
في كفِّه خيزرانٌ ريحه عبقٌ	من كفِّ أروعٍ في عرينيه شتمُ
يغضى حياءً ويُغضى من مهايته	فلا يكلمُ إلا حين يبتسمُ

وهي خمسة وعشرون بيتاً . وقد شاع بين الناس أنها للفرزدق مع أن من المشكوك فيه أن الفرزدق يرتجل كل هذا في حضرة هشام ولا يجد من يقوم في وجهه من الجالسين . وقد ثبت أن الفرزدق قال أربعة أبيات ، ثم أخذ أدباء الشيعة يزيدون عليها ما ليس منها حتى بلغت خمسة وعشرين بيتاً .

ذكر صاحب^(١) الأغاني أن هذين البيتين .

في كفِّه خيزرانٌ ريحه عبقٌ من كفِّ أروعٍ في عرينيه شتمُ

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
قَالَهُمَا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ الشَّهِيرُ بِالْحَزِينِ فِي مَدْحِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
ابْنِ مَرْوَانَ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ فَتْيَانِ بَنِي أُمَيَّةَ وَظُرْفَاتِهِمْ ، وَكَانَ حَسَنَ
الْوَجْهِ حَسَنَ الْمَذْهَبِ .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ ^(١) « وَالنَّاسُ يَرَوْنَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِلْفَرَزْدَقِ فِي أَيْتَاتِهِ
الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي أَوَّلَهَا .
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَيْطُحَاءَ وَطَأَّتَهُ وَالْبَيْتَ يَعْرِفُهُ وَالْحُلَّ وَالْحَرَمَ
وَهُوَ غَلَطَ مِنْ رَوَاهُ ، وَلَيْسَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ مِمَّا يَمْدَحُ بِهِ مِثْلَ عَلِيٍّ
ابْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَلَهُ مِنَ الْفَضْلِ الْمُتَعَالَمِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ » .

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ « مِنَ النَّاسِ مَنْ يَلْسَبُ هَذِهِ الْآيَاتِ لِدَاوُدَ بْنِ سُلَيْمٍ
فِي قَتْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِيهَا لِحَالِدِ بْنِ يَزِيدَ مَوْلَى قَتْمٍ فِيهِ . » ثُمَّ
أورد صاحب الأغاني الآيات الآتية :

كَمْ صَارَ خَيْرٌ بِكَ مِنْ رَاجٍ وَرَاجِيَةٍ يَرْجُوكَ يَاقَتَمُ الْخَيْرَاتِ يَاقَتَمُ
أَيُّ الْعَمَائِرِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوَّلُهُ نَعَمْ
فِي كَفِّهِ تَحْيِزُ رَأْنُ رِيحُهُ عَبَقٌ مِنْ كَفِّ أُرُوعَ فِي عَرْنِيهِ سَتَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
قَالَ أَبُو الْفَرَجِ « وَمَا ذَكَرْنَا الصُّوْلَى عَنِ الْعَلَاءِيِّ عَنْ مَهْدِي بْنِ
سَاقٍ أَنَّ دَاوُدَ بْنَ سُلَيْمٍ قَالَ هَذِهِ الْآيَاتُ الْأَرْبَعَةُ سِوَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي

شعره في علي بن الحسين عليه السلام . وذكر الرياشي عن الأصمعي أن رجلا من العرب يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال :

يكاد يمسيك عرفان راحته ركنُ الحطيم إذا ماجاء يستلم

كم صارخ بك من راجٍ وراجية في الناس يا قثم الخيرات يا قثم

فأمر له بجائزة سنية ، والصحيح أنها لملك الحزين في عبدالله بن عبد الملك . وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيت في تلك الآيات . وآيات الحزين مؤلفة^(١) منتظمة المعاني متشابهة تنبيء عن نفسها ،

* * *

ومن أمثلة المديح قول الكمي :

بل هَوَايَ الَّذِي أَجُنُّ وَأَبْدَى لَبِي هَاشِمٍ فِرْعَوْنٍ^(٢) الْإِنَامِ
لِلْقَرِيِّينَ مِنْ نَدَى وَابْعِيدِ نَنْ مِنَ الْجُورِ فِي عُرَى^(٣) الْأَحْكَامِ
وَالْمَصِيدِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّاسُ وَمَرَسَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ
وَالْحِمَاةَ الْكَفَاةَ فِي الْحَرْبِ إِنْ لَفَّ فِ ضِرَامٍ^(٤) وَقُوْدُهُ^(٥) بِضِرَامِ
وَالغِيُوْثُ الَّذِيْنَ إِنْ أَعْمَلَ النَّاسُ فَمَا وَاوَى حَوَاضِنُ^(٥) الْإِيْتَامِ

* * *

(١) الأعلى ج ١٤ / ٧٥ .

(٢) الهوى : الميل . أجن : أضرب . أبدى : أظهر . وفروع الأنام . أرففهم وأسمهم .

(٣) الندى . الكرم . والعري جمع عروة . والأحكام جمع حكم .

(٤) الحماة جمع حمى وهو الذاب عن الحرم .

(٥) الفيوت : جمع غيث وهو المطر والحصب . وأعمل الناس أحذبوا . والمحل : الحدب

والفصط — حواصن الأيتام يرد بهن أمهات الأيتام .

ولما تطورت معتقدات الشيعة وظهرت آراؤهم في الأئمة والقول بعصمتهم ، وأن الإمام يشفع لأمته يوم القيامة ، جاء ذلك واضحا جليا في شعر الشعراء الذين بلغوا في الغلو درجة بعيدة . ومثال ذلك قول ابن هاني الأندلسي يمدح المعز لدين الله الفاطمي :

ما شئتَ لا ماشاءتِ الأقدارُ	فاحكمْ فأنْتَ الواحدُ القهارُ
وكأنما أنتَ النبيُّ محمدُ	وكأنما أنصارُك الأَنْصارُ
أنتَ الذي كانتْ تُبشِّرُنَا به	في كُتُبِها الإخبارُ والأخبارُ
هذا إمامُ المتقينَ ومن بهِ	قد دُوِّخَ الطُغيانُ والكفارُ
هذا الذي تُرْجى النجاةُ بحبِّهِ	وبه يُحطُّ الإصرُ والأوزارُ
هذا الذي تُجِدِي شَفَاعَتُهُ غدا	حقاً وتُحمَدُ أنْ تَرَاهُ النَّارُ
من آلِ أحمدَ كلُّ نَفِرٍ لم يكن	ينمى إليهم ليس فيه نَفَارُ
كالبدرِ تحتَ غمامَةٍ من قسطل	ضحيان لا يُخْفِيهِ عنكَ سِرَارُ

وقد شاع مثل هذا المديح بين شعراء المسلمين . أنظر إلى المتنبي حين يقول :

لو كانَ علمُك بالإله مُقسَماً	في الناس ما بعثَ الإلهُ رسولا
أو كانَ لفظُك فيهمُ ما أنزلَ الـ	توراةَ والفرقانَ والإنجيلا

وانظر إليه حين يقول :

لو كانَ ذو القرنينَ أَعْمَلَ رَأْيُهُ	لما أتى الظُّلُماتِ صِرْنَ شُوسا
أو كانَ صادَفَ رأسَ عازرَ سيفه	في يومِ معركةٍ لأَعْيَا عيسى
أو كانَ لُجَّ البحرِ مثلَ يمينه	ما أنشَقَّ حتى جازَ فيه موسى

يا من تلوذ من الزمان بظله أبداً ونطرُد باسمه إبليساً

وقد كثر مدح الشعراء لآل البيت كثرة مدهشة واشترك في هذا المدح شعراء شيعيون وسنيون . وكان مديح آل البيت سبياً في ظهور المدايح النبوية ، والاستغاثة بآل رسول الله . وقد شغل هذا وذاك مكاناً كبيراً في عالم الشعر كما أن هذا المدح في آل علي دفع كثيراً من الشعراء إلى نظم القصائد في مدح أبي بكر وعمر وعثمان فظهر ما نراه من القصائد البكرية والعمرية والعثمانية .

(٢) الرثاء

كانت مجزرة كربلاء التي قتل فيها الحسين وما حل بالعلويين بعدها دافعا قويا للشعراء أنطقهم بكثير من القصائد التي تسيل العبرات ، وتذيب القلوب ، وتفتت الأكباد . ولا غرابة في ذلك فهي صدى لتلك الدماء التي سفكت بغير حساب ، والأشلاء التي تناثرت وتركت على الأرض طعاماً للطير ، والجثث التي أحرقت وذريت في الهواء ، والأجسام التي صلبت وبقيت مصلوبة أياماً تلبعث منها الروائح الكريهة ، والقبور التي هدمت وحرث مكانها وزرع . وقد كثر الشعر في رثاء آل البيت كثرة هائلة ، وكله صادر من أعماق النفوس ، منبعث من قرارة الأفئدة . فكان للأدب العربي من ذلك تروة لا تقدر . ومن أمثلة ذلك ما ينسب لزوجة الحسين .

إن الذي كان نوراً يُستضاء به بكربلاء قتيلٌ غيرُ مدفونٍ

سَبَطَ النَّبِيُّ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً
 قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلًا صَعْبًا أَلُوذُ بِهِ
 مَنْ لِيَتَأَمَّى وَمَنْ لِّلسَّائِلِينَ وَمَنْ
 وَاللَّهِ لَا أَتَبَغَّى صَهْرًا بِصَهْرِكُمْ
 وَقَوْلُ السَّيِّدِ الْحَمِيرِيِّ :

أَمُرُّزْ عَلَى جَدَثِ الْحَسَنِ
 آعْظُمَا لَا زَلَّتْ مِنْ
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ
 وَابِكِ الْمَطْهَرِ لِلْبَطْنِ
 كُبُكَاءَ مُغُولَةٍ أَتَتْ
 يَوْمًا لَوَاحِدِهَا الْمِنِيَّةُ

وَمَنْ جَيِّدٌ مَا قِيلَ فِي رِثَاءِ آلِ الْبَيْتِ قَصِيدَةً دَعَلَ الْخَزَاعِي إِلَى
 يَقُولُ فِيهَا :

مَدَارِسُ^(١) آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ
 لِّآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
 دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ
 دِيَارُ عَفَاها كُلُّ جَوْنٍ مُبَاكِرٍ
 قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا
 وَأَيْنَ الْأَلَى شَطَطَتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى
 وَمَنْزَلُ وَحْيٍ مُقْفَرٍ الْعَرَصَاتِ
 وَبِالرُّكْنِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ
 وَحِزَّةِ وَالسَّجَادِ ذِي^(٢) الثَّقَنَاتِ
 وَلَمْ تَعْفُ لِلْأَيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ
 مَتَى عَهْدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَوَاتِ
 أَفَانِينَ فِي الْأَفَاقِ مُفْتَرِقَاتِ

(١) معجم الأدباء ج ١١ / ١٠٣ .

(٢) السَّجَادُ هُوَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ سَمِيَ بِهِدًا لِكثْرَةِ السُّجُودِ . وَالثَّقَنَاتُ جَمْعُ ثِقَةٍ وَهِيَ رَكْبَةُ الْإِنْسَانِ . يُرِيدُ أَنَّ رَكْبَتَيْهِ تَأْمُرَتَا مِنْ كَثْرَةِ السُّجُودِ .

وهى طويلة ، وسنورد بقيتها حينما نتكلم عن أشهر شعراء الشيعة .
وقد روى أن كثيرا من شعراء الشيعة وأدبائها كانوا يجتمعون
ويكونون وينوحون بالقصائد التى ينظمونها فى رثاء آل البيت . وما بُكى
به قول أحد الشعراء .

بني أحمدٍ قلبي لكم يَنَقَطُّ بِمِثْلِ مُصَابِي فِيكُمْ لَيْسَ يُسْمَعُ
عَجِبْتُ لَكُمْ تَقْنُونَ قَتْلًا بِسَيْفِكُمْ وَيَسْطُو عَلَيْكُمْ مَنْ لَكُمْ كَانَ يَخْضَعُ
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَوْصَى بِقَتْلِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ تُوزَعُ

(٣) الهجاء

أكثر شعراء الشيعة من هجاء أعدائهم أمويين وعباسيين ، كما هجوا
أبا بكر وعمر وعثمان هجاء مرا ، وقالوا فى ذلك كثيرا . ومن أشهر من
عرّض هؤلاء فى شعره السيد الحميرى ، وهو شاعر عاش فى أواخر
الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية . وكان شيعيا غالبا ، وقد ذكره
صاحب الأغاني^(١) بقوله : فكان يفرط فى سب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، ويستعمل شعره فى قذفهم والطعن عليهم
فتحوى شعره من هذا الجنس وغيره ، وهجره الناس تخوفا وتوقيا .

وكان مهيار الديلمي الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى كثير الطعن
فى هؤلاء الصحابة . ولكن شعره لم يهجره الناس كما هجروا شعر السيد

(١) الأغاني ج ٧ / ٢٣٠ .

الْجَمِيرَى ، فوصل إلينا كل ما قاله في هذا الباب . ومن أمثلة هذا الهجاء .
قول أحد شعراء الشيعة :

فَدَكُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوتَ وَلَا أَرَى فَوْقَ الْمَنَابِرِ مِنْ أُمَيَّةٍ خَاطِبَا
فَاللَّهُ أَخَّرَ مُدَّتِي فَتَطَاوَلْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ الزَّمَانَ خَطِيئِهِمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَأَلِ أَحْمَدَ عَائِبَا
وقول مبيار :

حَمَلُوهَا يَوْمَ السَّقِيفَةِ أَوْزَا رَا تَخِفَّ الْجِبَالُ وَهِيَ تُقَالُ
ثُمَّ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهَا يَسْتَقِيلُوا نَ وَهِيَاتَ عَثْرَةُ لَا تُقَالُ
يَا لَهَا سُوءَةً إِذَا أَحْمَدَ قَا مَ غَدَا بَيْنَهُمْ فَقَالَ وَقَالُوا
رَبْعُ هَمِّي عَلَيْهِمْ طَلَلُ بَا قِي وَتَبَلَّى الْهَمُومُ وَالْإِطْلَالُ
ومن قوله أيضا :

أَللَّهِ يَا قَوْمُ ، يَقْضِي النَّبِيُّ مَطَاعًا يُعْصَى وَمَا غُسْلَا
وَيُوصَى فَتَحْرَصُ دَعْوَى عَلَيْهِ هِ فِي تَرْكِهِ دِينَهُ مُهْمَلَا
وَيَجْتَمِعُونَ عَلَى زَعِيمِهِمْ وَيُنْبِيكَ سَعْدٌ بِمَا أَشْكَلا
فَيَعْقِبُ لِجَمَاعِهِمْ أَنْ يَبِي بَ مَفْضُولِهِمْ يَقْدُمُ الْإِفْضَلَا
وَأَنْ يُنْزَعَ الْأَمْرُ مِنْ أَهْلِهِ لِأَنَّ عَلِيًّا لَهُ أَهْلَا
وَسَارُوا يَحْطُونَ فِي آلِهِ بِظُلْمِهِمْ كُلَّكَ كُلَّكَ
ومنها :

فِيَوْمِ السَّقِيفَةِ يَا بَنَ النَّبِيِّ طَرَّقَ يَوْمَكَ فِي كَرْبَلَا

وَعَضْبُ أَيْكَ عَلَى حَقِّهِ وَأَمَّكَ حَسَنَ أَنْ تُقَتِّلَا

ولما أكثر شعراء الشيعة من الطعن على الخلفاء الأول قام فريق من شعراء السليين يدافعون عن أبي بكر وعمر وعثمان ويذودون عنهم ، فكان من هذا وذاك شعر كثير . قال بديع الزمان الهمذاني من قصيدة طويلة .

إِمَامٌ مِنْ أَجْمَعٍ فِي السَّقِيفَةِ قَطَعًا عَلَيْهِ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ
نَاهِيكَ مِنْ آثَارِهِ الشَّرِيفَةِ فِي رَدِّهِ كَيْدَ بَنِي حَنِيفَةِ
سَلِ الْجِبَالَ الشَّمَّ وَالْبَحَارَا وَسَائِلَ الْمُنْبَرِ وَالْمَنَارَا
وَاسْتَعْلِمِ الْآفَاقَ وَالْأَقْطَارَا مِنْ أَظْهَرَ الدِّينِ بِهَا شِعَارَا
ثُمَّ سَلِ الْفَرَسَ وَبَيْتَ النَّارِ مِنَ الَّذِي قُلَّ شَبَابُ الْكَفَارِ
هَلْ هَذِهِ الْبَيْضُ مِنَ الْآثَارِ إِلَّا لثَانِي الْمُصْطَفَى فِي الْغَارِ
وهي طويلة فليرجع إليها القارىء إن شاء في الجزء الثاني من معجم الأدباء طبع القاهرة^(١) .

(٤) الدِّفَاعُ عَنْ حَقِّ عَلِيٍّ

كان الدِّفَاعُ عَنْ حَقِّ عَلِيٍّ وَآلِ بَيْتِهِ فِي الْخِلَافَةِ مِنْ أَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي شَغَلَتْ شُعْرَاءَ الشَّيْعَةِ ، فَتَنَاولُوا هَذَا الْمَوْضُوعَ وَقَالُوا فِيهِ كَثِيرًا . دَافَعُوا عَنْ هَذَا الْحَقِّ دِفَاعًا مَذْكُورًا ، وَلَمْ يَتْرَكُوا حِجَّةً وَلَا دَلِيلًا يَثْبُتُ حَقَّهُ فِيهَا إِلَّا أَنْوَابَهُ مَفْصَلًا مَشْرُوحًا ، وَلَمْ يَدْعُوا بِرَهَانَا وَلَا بَيِّنَةٍ تُؤَيِّدُ رَأْيَهُمْ ،

وتدعم مذهبهم إلا ذكروها ونوها بها . ويعتبر الكيت أول شاعر
 شيعي لجأ في الدفاع عن حق علي إلى الدليل والبرهان ، وقد قال عنه
 الجاحظ : إنه من أول من دل الشيعة على طرق الاحتجاج ، ومن قوله :
 وقالوا ويرثناها أبانا وأمنا وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
 يرون لهم حقاً على الناس واجباً سفاهاً وحق الهاشميين أوجب
 ولكن مواريث ابن آمنة الذي به دان شرقى لكم ومغرب
 ومنها :

يقولون لم يُورث، ولولا ثرائه	لقد شركت فيه بكيك وأزحَبُ
وعكث ولخم والسكون وحيرُ	وكندة والحيان بكرُ وتغلبُ
ولا نتشلت ^(١) عضوين منها يُحاربُ	وكان لعبد القيس عضو ^(٢) مؤربُ
ولا تنقلت من خندف في سواهمُ	ولا قنذحت قيس بها ثم ألقبوا
ولا كانت الأنصار فيها أدلة	ولا غيباً عنها إذا الناس غيبُ
هم شهدوا بدرا وخير بعدها	ويوم حنين والدماء تصبُ
وهم راثموها ^(٣) غير ظنير ^(٤) وأشبوا	عليها بأطراف القنا وتحدبوا
فإن هي لم تصلح لقوم سواهمُ	فإن ذوى القرى أحق وأقربُ
فيالك أمرا قد اشئت وجوهه	ودارا ترى أسابها تنقضُ
تبدلت الأشرار بعد خيارها	وجد بها من أمه وهي تلعبُ

فأنت ترى أن الكيت قد ألف حجة قوية فهو يقول : لو لم يورث

(٢) عضو مؤرب نصيب تام .
 (٤) الطئر التي تطف على غير ولدها .

(١) أخذت نصيبين .
 (٣) قبلوا دعوة الرسول .

التي لكانت الخلافة شائعة في قبائل العرب ، ولما كان هناك معنى للقول .
بأن الخلافة في قريش . فإن قلتم بأن الخلافة في قريش ودفعتم الأنصار
عنها بهذه الحجة ، فلا معنى لتقديم قريش إلا لقرابتها من الرسول ،
وإذا كانت قرابتها هذه هي الحجة التي تستند إليها فالأقرب أولى . فبنو
هاشم أولى من بنى أمية ، وبنو عليّ أولى بنى هاشم . وهذه الحجة
التي أتى بها الكميّ ليست جديدة ، ولا هي من اختراعه ، بل مر بنا
ذكرها حينما رأينا عليا يجادل أبا بكر وعمر ، ويقول لهما : أنا أحتج
عليكما بمثل ما احتجتم على الأنصار . ولكن الكميّ أول من صاغ
هذه الحجج في الشعر وأتى بها في القصيد .

* * *

وقد ترتب على مثل هذا الشعر ظهور نوع من النقائض بين شعراء
العلويين والعباسيين ، ترى فيها الحجة تدفع الحجة ، والبرهان يبطل
البرهان . واجتهد كل فريق في الاستناد إلى القرآن والحديث والسنة
والإجماع لتأييد وجهة نظره . ومثال ذلك قول أحد شعراء العباسيين
مخاطبا الرشيد :

يا ابن الأئمة من بعد النبي وآلِهِ
لولا عديّ^(١) وتيم^(٢) لم تكن وصلت
إلى أمية تمرّ بها وترتضع
وما لآلِ عليّ في إمارتكم وما لهم أبدا في إرثكم طمع

(١) قبيلة منها عمر بن الخطاب .

(٢) قبيلة منها أبو بكر الصديق .

يا أيها الناس لا تعزُبْ حلومكمو ولا تُضِفْكم إلى أكتافها البِدْعُ
العمَّ أولى من ابن العم فاستمعوا قول النصيحة إنَّ الحقَّ مُسْتَمَعٌ
وقول شاعر آخر :

ألا لله دَرُّ بنى عليٍّ ودَرُّ من مَقَاتِلِهِمْ كَثِيرُ
يسمون النِّبِّيَّ أبا ويأبى من الأحزابِ سطرُ بل سطرُ
يشير الشاعر هنا إلى آية الأحزاب « ما كان محمد أبا أحد
من رجالكم ولكن رسول الله » . وكان من أكبر دعاة العباسيين في الشعر
مروان بن أبي حفصة . لقد مدح المهدي والرشد ، ونال جوائزهما
العظيمة ، وله قصيدة مشهورة مدح بها المهدي عندما عقد البيعة
لابنه الهادي :

يا ابن الذي ورث النبيَّ محمداً دونَ الأقارب من بنى الأعمام
الوحيُّ بين بنى النباتِ وبينكم قَطَعَ الحِصَامَ فلاتَ حينَ خِصَامِ
ما للنساءِ مع الرجالِ فريضةٌ نَزَلَتْ بِذلكَ سورةُ الأَنْعَامِ
خلُّوا الطريقَ لمعتسٍ^(١) عاداتهم حَطُمُ المناكبِ كلَّ يومٍ زِحَامِ
إِرْضَوْا بما قسمَ الإلهُ لكم به ودَعُوا وراثتهُ كُلَّ أُصَيْدِ حَامِ
أَتنى يكونُ وليس ذاكُ بكائنٍ لبني النباتِ وراثتهُ الأعمامِ
ألغى سهامهم الكتابُ فحَاوَلُوا أن يشرعوا فيها بغيرِ^(٢) سِهَامِ

• (١) يريد بالمعتس العاسين . وحطم المناك يوم الرعام كناية عن عليهم لخصومهم
يوم التافس في المجد .

(٢) أى أن ينالوها دون أن يكون لهم نصيب معروف فيها .

ظَفِرَتْ بَنُو سَاقِ الْحَجِيجِ بِحَقِّهِمْ وَغُرِّمَتْ بِتَوَهُّمِ^(١) الْأَحْلَامِ
عَقِدَتْ لِمُوسَى بِالرَّصَاقَةِ بَيْعَةً شَدَّ إِلَهُ بِهَا عُرَى^(٢) الْإِسْلَامِ
مُوسَى الَّذِي عَرَفَتْ قَرِيضُ فَضْلِهِ وَلَهَا فَضِيلَتُهَا عَلَى الْأَقْوَامِ
قِيلَ إِنْ أَشَدَّ بَيْتُ كَانَ عَلَى الشَّيْعَةِ قَوْلُهُ :

أَنَّى يَكُونُ — وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَائِنْ — لِبْنِ الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ^(٣)
وَقَدْ غَاضَظَهُمْ هَذَا الْبَيْتُ حَتَّى لَعَنُوهُ مِنْ أَجْلِهِ ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِمْ :
لَمْ لَا يَكُونُ وَإِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنْ لِبْنِ الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ
لِلْبَنِّ نَصْفٌ كَامِلٌ مِنْ مَالِهِ وَالْعَمُّ مَتْرُوكٌ بِغَيْرِ سَهَامٍ
مَا لِلطَّلِيقِ وَلِلثَرَاتِ وَإِنَّمَا صَلَّى الطَّلِيقُ مَخَافَةَ^(٤) الصَّمَامِ
. قَالَ أَبُو الْفَرَجِ ، قَالَ صَالِحُ بْنُ عَطِيَّةِ الْأَضْمِمْ وَهُوَ شَيْعِي ، لَمَّا قَالَ
مِرْوَانَ :

أَنَّى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَائِنْ لِبْنِ الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ
لَزِمَتْهُ وَعَاهَدَتْ اللَّهَ أَنْ أَغْتَالَهُ فَأَقْتَلَهُ أَيْ وَقْتُ أَمَكْنِي ذَلِكَ ،
وَمَا زِلْتُ الْأَظْفَرُ وَأَبْرَهُ ، وَأَكْتُبُ أَشْعَارَهُ حَتَّى خَصَصْتُ بِهِ فَأَنْسَ بِي
جَدًا ، وَعَرَفْتُ ذَلِكَ بَنُو حَفْصَةَ جَمِيعًا فَأَنْسَوْا بِي ، وَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ غِرَّةً
حَتَّى مَرَضَ مِنْ حُمَى أَصَابَتْهُ ، فَلَمْ أَزَلْ أَظْهَرُ لَهُ الْجُزْعَ عَلَيْهِ حَتَّى خَلَا لِي
الْبَيْتُ يَوْمًا فَوُثِّبَ عَلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِحَلْقِهِ فَمَا فَارَقَتْهُ حَتَّى مَاتَ .

(١) سَاقِ الْحَجِيجِ هُوَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ كَانَ يَسْتَقِي الْحَاجَّ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(٢) مُوسَى الْمَهَادِي ابْنُ الْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ .

(٣) وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ : يَرِيدُ وَرَاثَةَ كُورَاثَةِ الْأَعْمَامِ .

(٤) الطَّلِيقُ هُوَ الْعَبَّاسُ أَسْرَعَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ اعْتَدَى نَفْسَهُ .

ولقد كان مروان من أحب الشعراء إلى الرشيد لأنه كان يصل مدح الرشيد بالتعريض بالشيعة والظعن فيهم . وقد اضطر الشعراء الآخرون إلى مجارة مروان في طريقته حتى يظفروا بمثل ما كان يظفر به من العطايا والهبات .

(٥) ذكر مناقب آل البيت

أكثر شعراء الشيعة من التغنى بمناقب علي وآل بيته في شعرهم . فكانوا كلما سمعوا منقبة قالوا فيها شعرا ولو كانت هذه المنقبة مما لا يقبله العقل . وتعتبر قصائدهم التي نظموها في هذا الموضوع من الشعر القصصى ؛ لأنك تجد الشاعر يسرد لك عجيبة من عجائب علي ، أو عادة من خوارق عاداته ، أو أمرا غريبا وقع له من شأنه أن يرفع من مقام علي أمام الناس ويجعله سيد الأوصياء بغير شك ولا ريب . وقد كان السيد الخيري من أكثر شعراء الشيعة ذكرا لمناقب علي . قال صاحب الأغاني^(١) « كان السيد الخيري يأتي الأعمش — وهو عالم كوفي ثقة في الأخبار — فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه ، ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعرا » .

ثم قال « نخرج^(٢) ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة ، وقد حمه علي فرس ، وخلع عليه ، فوقف بالكناسة — محلة بالكوفة — ثم قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعرا أعطيته فرسي هذا وما علي . فجعلوا يحدثونه وهو ينشدهم » .

(١) و (٢) الأغاني ج ٧ .

من ذلك أنه سمع رجلا يروى عن النبي أنه قال لعلي بن أبي طالب:
إنه سيولد لك بعدى ولد، وقد نخلته اسمى وكنتى فقال فى ذلك قصيدة
طويلة نذكر منها .

ألم يُلْغَكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي مقالُ محمدٍ فيما يُودَى
إلى ذى عليه الهادى عليّ وخولةٌ خادمٌ فى البيتِ تردى
ألم ترَ أنْ خولةٌ سوفَ تأتى بوارى الزندِ صافى الخيمِ تجدى
يفوزُ بكنيتى واسمى لأنى نخلتُهما والمهدى بعدى
يُغيبُ عنهم حتى يقولوا تضمنه بطيئةً بطنُ الحد

ومن ذلك أيضا أنه سمع محدثا يقول إن النبي كان ساجدا فركب
الحسن والحسين على ظهره ، فقال عمر رضى الله عنه : نعم مطيكا فقال
النبي « ونعم الراكبان هما ، فقال السيد فى ذلك :

أبى حسينا والحسينَ النبي وقد جلسا حَجْرَةً^(١) يلعبانِ
فقداهما ثم حياهما وكأنا لديه بذالك المكانِ
فراحا وتحتهما عاتقاهُ فنعم المطية والراكبانِ
وليدانِ أمهما برّة حصانٌ مطهرةٌ للحصانِ

(٦) النقائص

وهي القصائد التي تبادلها شعراء الفريقين من الشيعة وخصومهم وكانت مملوءة بالشتائم والسباب، مفعمة بالألفاظ النابية التي تنفر منها الأسماع - وهي وإن كانت تدخل ضمن الهجاء، إلا أني آثرت أن أفرد لها مكانا خاصا. لأن الهجاء عند الشيعة تناول الأموات أكثر من الأحياء؛ تناول أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة بالسب واللعن والتكفير، ورميهم بالغدر والخيانة واغتصاب حق علي في الخلافة. أما هذه النقائص فكانت هجاء متبادلا بين شاعر وشاعر يطعن أحدهما في أخلاق الآخر وعرضه وشرفه وحسبه ونسبه، ويتهمه بالفسق والفجور فيرد عليه الآخر ردا فيه فحش وفيه إقذاع. ومن أمثلة ذلك قول كثير وكان يدين بالرجعة

وسطٌ لا يذوق الموتَ حتى يقودَ الخيلَ يقدمها اللواء

تغيَّبَ لا يُرى فيهم زمانا برضوى عنده غسلٌ وماء

فأتى علي بن الجهم وقال^(١):

ورافضةٌ تقولُ بشعْبِ رَضْوَى إمامٌ، تحابَّ ذلك من إمام

إمامٌ من له عشرون ألفا من الأتراك مُشرعة السَّهام

فرد عليه البحترى بقوله:

إذا ما حُصِّلَتْ عُلْيَا قُرَيْشٍ فلا في العيرِ أنتَ ولا النفيرِ

وما رُغِّشَاؤُكَ الجهم بن بدر من الأقباطِ ثمَّ ولا البديرِ

ولو أعطاك ربك ما تَمَنَّى لَوَادَ الخَلْقَ فِي عِظَمِ الأَيُّورِ
 علامَ هَجَوْتَ مجتهدا عليا بما لَفَّقْتَ من كَذِبٍ وَزُورِ
 أمالك في اسنك الوجعاء شُغْلُ يَكْفُفَكَ عن أذى أهل القبور

كذلك امتازت النقائض بأن الشاعر كان يقول القصيدة ، فسرعان
 ما ينبرى شاعر آخر للرد عليه . ومثال ذلك قول أحد شعراء طلحة :

نحن بنو ضَبَّةَ أصحابُ الجملِ مُنَازِلَ الموتِ إِذَا الموتُ نَزَلَ
 تَنَعَّى ابنَ عَفَّانَ بِأَطرافِ الأَسْلِ رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ يَجَلُ
 الموتُ أَحَلَّى عِنْدَنَا من العَسَلِ لَا عَارَ فِي الموتِ إِذَا حَانَ الأَجَلُ
 إِن عليا هو من شرِّ البدلِ إِن تعدلوا بِشَيْخِنَا لَا يَعْتَدِلُ
 فَأجابه رجل من أنصار علي :

نَحْنُ قَتَلْنَا نَعْتَلًا فِيمَنْ قَتَلَ أَكْثَرَ من أَكْثَرِ فِيهِ أَوْ أَقَلُّ
 أَنَّى يُرَدُّ نَعْتَلٌ وَقَدْ قَحَلَ نَحْنُ ضَرْبَنَا وَسَطَهُ حَتَّى انْجَزَلَ
 لحكمه حكم الطواغيت الأولِ آثَرَ بالقيءِ وَجَافَى فِي العَمَلِ
 فَأَبْدَلَ الله به خَيْرَ بَدَلِ إِنى امرؤُ مُسْتَقْدِمٌ غَيْرَ وَكِيلُ

ومن هذا النوع أيضا قول الوليد بن عقبة يخاطب أنصار علي
 متهما إياهم بالاستيلاء على أسلحة عثمان بن عفان وهو :
 بنى هاشم رُدُّوا سلاح ابنِ أختكم وَلَا تنهبوه لَا تَحِلَّ مَنَاهِبُهُ

بنى هاشمٍ كيف الهوادة بيننا وعند على درعه ونجائبه
قتلت أخى كما تكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرابيه
قال ابن أبى الحديد^(١) « فأجابه عبدالله بن أبى سفيان بن الحارث بن

عبد المطلب بأبيات طويلة من جملتها :

فلا تسألوا ما سيفكم إن سيفكم أضيع وألقاه لدى الرّوع صاحبه
شبهته كسرى وقد كان مثله شبيها بكسرى هنريه وضراييه^(٢)

أى كان كافرا كما كان كسرى كافرا،

ومنها :

وكان وليّ العهد بعد محمدٍ علىّ وفي كلّ المواطن صاحبه
علىّ ولي الله أظهر دينه وأنت مع الأشقيين فيمن تحاربه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسقٌ فما لك فى الإسلام سهمٌ تطالبه

(١) شرح ابن أبى الحديد ج ١/٩٠ .

(٢) أستبعد صدور هذا من ابن أبى سفيان — المؤلف .

الباب الرابع

شعراء الشيعة

بلغ شعراء الشيعة من الكثرة مبلغا عظيما حتى أصبح إحصاؤهم فضلا عن التكلم عنهم من الأمور العسيرة . ولا أستطيع هنا أن أتناول بالدرس كل من عرف بتشيعه من الشعراء ، لأن هذا الكتاب أضيق بكثير من أن يتسع لهذا . إلا أنني أرى لزاما على تنمة للبحث أن أتحدث عن بعض شعراء الشيعة متوخيا في ذلك الإيجاز . وسأبدأ بذكر الشعراء الذين عاشوا في أيام الدولة الأموية ثم أتبعهم ببعض من عاشوا في أيام الدولة العباسية . ثم أتى بعد ذلك بذكر شاعر واحد من شعراء الدولة الفاطمية وهو ابن هانيء الأندلسي .

(١) الكميت

هو الكميت^(١) بن زيد الأسدي ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار بن عدنان . قال أبو الفرج^(٢) : شاعر مقدم ، عالم بلغات العرب ، خير

(١) ذكر الأمدى في المؤلف والمخلف أن من يقال لهم الكميت من الشعراء ثلاثة من بني أسد بن خزيمة (أولهم) الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقس (والثاني) الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر (والثالث) الكميت ابن ربد الأسدي . والكميت بصغير آكت على غير قياس . والإسم الكمه وهو من الحيل بين الأسود والأحمر .

(٢) الأعاني طبع دار الكتب ج ١٥ ص ١٠٩ .

بأيامها، من شعراء مضر وألسنتها، والمتعصبين على القحطانية، المقارنين
المقارعين لشعرائهم العلماء بالثالب والأيام المفاخرين بها. وكان في أيام
بنى أمية، ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها. وكان معروفا بالتشيع
لبنى هاشم، مشهورا بذلك. وقصائد الهاشميات من جيد شعره ومختاره.
مولده: ولد في عام ستين هجرية أيام قتل الحسين. ومات سنة مائة
وست وعشرين هجرية في خلافة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين.

أخلاقه وصفاته: كان الكميّ شديد الذكاء، قوى الحافظة، سريع
الجواب، حاضر البديهة، فصيحاً مفوها، ملها بأيام العرب ومناقبها
ومفاخرها، عليا بأنسابها. كما كان كريما دينا، وفارسا شجاعا.

تشيعة: كان الكميّ شديد الحب لآل علي، عظيم الولاء والإخلاص
لهم. أزرهم وناضل عنهم في وقت الشدة، غير مكترث بسطوة الأمويين
وبأسهم. وقد تعرض في سبيل ذلك للهلاك، وتحمل اضطهادا كبيرا
وعناء شديدا. قال الجاحظ: ما فتح للشيعة الحجاج إلا الكميّ بقوله:
فَإِنْ هِيَ لَمْ تَصْلُحْ لِحَيِّ سِوَاهُمْ فَإِنَّ ذَوِي الْقُرْبَى أَحَقُّ وَأَوْجِبُ
يَقُولُونَ لَمْ تُورَثْ وَلَوْلَا تُرَاثُهُ لَقَدْ شَرَّكَتْ فِيهِ بِكَيْلٍ وَأَرْحَبُ^(١)
وإنك لتجد في شعر الكميّ ما يدل على تعلقه الشديد بآل علي.

ومثال ذلك قوله:

بَأَيِّ كِتَابٍ أُمُّ بَأَيِّ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُم عَارَا عَلَى وَتَحْسِبُ
فَالِيَّ إِلَّا آلَ أَحَدٍ شِيعَةً وَمَالِي إِلَّا مَشْعَبُ الْحَقِّ مَشْعَبُ

(١) قيتان من العرب

ومن غيرهم أَرْضَى لِنَفْسِي شِيعَةً ومن بعدهم لا من أجل وأَرْجَبُ
إِلَيْكُمْ ذُو آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعت نَوَازِعُ من قلبي ظلماء وأَلْبَبُ
فَطَائِفَةٌ^(١) قد كَفَرْتَنِي بِحَبْكُم وطَائِفَةٌ^(٢) قالوا مَسِيءٌ ومَذْنِبُ
فَمَا سَاءَ نِي تَكْفِيرُ هَاتِيكَ مِنْهُمْ ولا عيب هَاتِيكَ الَّتِي هِيَ أَعِيبُ
يَعْيُونَنِي مِنْ خِيَبِهِمْ^(٣) وَضَلَّاهُمْ على حَبْكُم بل يَسْخَرُونَ وَأُعْجِبُ
وَقَالُوا تَرَانِي^(٤) هَوَاهُ وَرَأَيْهِ بذلك أَدْعَى فِيهِمْ وَأُنْقَبُ
ومنها:

أَلَمْ تَرَنِي فِي حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ أَرْوَحُ وَأَعْدُو خَائِفًا أَتَرَقَّبُ
كَأَنِّي جَانِ مُحَدِّثٍ وَكَأَنَّمَا بهم أَتَقَى من خشية العار أَجْرَبُ
عَلَى أَيْ جَرَمٍ أَمْ بِأَيَّةِ سِيرَةٍ أَعْنَفُ فِي تَقْرِيطِهِمْ وَأَوْنَبُ

غضب هشام عليه : ولما هجا الكميّ خالد بن عبد الله القسري
عامل هشام على العراقيين ، أراد خالد أن ينتقم فَرَوَّى جارية حسناء
قصائده التي قالها في بني هاشم وأَعَدَّهَا لِيَهْدِيهَا إِلَى هِشَامَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ
بِأَخْبَارِ الْكَمِيّ وَبِهَجَائِهِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَأُنْفَذَ إِلَيْهِ قَصِيدَتُهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا .
فِيَارِبْ هَلْ إِلَّا بَكَ النَّصْرُ يُبْتَنَى وَيَارِبْ هَلْ إِلَّا عَلَيْكَ الْمَعُولُ
وهي طويلة يرثى فيها زيد بن علي وابنه الحسين بن زيد ويمدح بني

(١) طائفة الحواريّ كانت تكفر كل من يحب عليا . (٢) طائفة الأمويين الذين
كانوا يهيمونه بالحق والعصيان . (٣) الحب : الحب والحداء .
(٤) سبة إلى أبي تراب وهو لقب علي بن أبي طالب .

هاشم ، قال أبو الفرج « فلما قرأها — يعنى هشاما — أكرها وعظمت عليه واستنكرها ، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكيت ويده فلم يشعر الكيت إلا والخيل محدقة بداره فأخذ وحبس في الحبس . إلا أن الكيت استطاع أن يهرب من السجن وأقام مدة متواريا حتى ^(١) إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلا في جماعة من بني أسد على خوف ووجل وفيمن معه صاعد غلامه . قال وأخذ الطريق حتى وصل إلى الشام فتولّى في بني أسد وبني تميم ، ثم اختلفت الروايات بعد ذلك في كيفية وصوله إلى هشام . وانتهى أمره بأن نال عفو الخليفة ورضاه ومدحه بقصيدة قيل إنه ارتجلها ومنها .

ماذا عليك من الوقو فيها ولأنك غير صاغر
درجت عليك العاديات الرأىحات من الأعاصر
فالآن صرت إلى أمير الأمور إلى مصائر

الهاشميات : وقد جمع شعره الذى قاله فى مدح بنى هاشم وأطلق عليه « الهاشميات » لأنه احتج فيها لبني هاشم على خصومه وعدد أبياتها خمسائة وستة وثلاثون بيتا . وقد طبعت فى أوربا ثم فى مصر واهتم غير واحد بشرحها ونشرها . ومن قوله فى مدح الهاشميين .

وهم الآخذون من ثقة الأم ربتقواهم عرى لا انفصام
والمصيون والمجبون للداء وة المحرزون خصل الترامى

وَيُحْلُونَ مُخْزَمُونَ مُقِرُّوْنَ لِحِلِّ قَرَارَةٍ وَحَرَامِ
 سَاسَةٍ لَا كُنْ يَرَى رَعِيَةَ النَّاسِ سِوَاءِ وَرِعِيَةِ الْأَنْعَامِ
 لَا كَعَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ كَوَلِيدٍ أَوْ سَلِيْمَانَ بَعْدَ أَوْ كَهَشَامِ
 رَأْيُهُ فِيهِمْ كَرَأْيِ ذَوِي الثُّلَّةِ فِي الثَّائِبَاتِ جُتَحَ الظَّلَامِ
 يَقُولُ إِنْ بَنَى هَاشِمٌ يَنْظُرُونَ إِلَى النَّاسِ بَعِينَ الْعُطْفِ وَالرَّعَايَةِ ،
 وَيَعْمَلُونَ مَا فِيهِ خَيْرَ الرِّعَايَةِ ، لَا يَدْعُونَهُمْ هَمَلًا كَالْأَنْعَامِ كَمَا يَفْعَلُ الْأُمَوِيُّونَ
 الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى النَّاسِ نَظَرَ صَاحِبِ الْقُطْعِ الْكَثِيرَةِ إِلَى غَنَمِهِ وَالثَّائِبَاتِ :
 الضَّانَ . وَالثَّلَّةَ : الْكَثِيرَ مِنَ الضَّانِ .

ثُمَّ قَالَ :

فَهُمْ الْأَقْرَبُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَهُمْ الْأَبْعَدُونَ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ
 وَهُمْ الْأَدْرَأَفُونَ بِالنَّاسِ فِي الرَّأْيِ وَالْأَحْلَى فِي الْأَحْلَامِ
 بَسَطُوا أَيْدِيَ النَّوَالِ وَكَفُّوا أَيْدِيَ الْبَغْيِ عَنْهُمْ وَالْعُرَامِ
 أَخَذُوا الْقَصْدَ فَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ حِينَ مَالَتْ زَوَامِلُ الْإِيَّامِ
 يَمْدَحُ الْهَاشِمِيْنَ بِقَوْلِهِ إِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ كُلَّ خَيْرٍ ، وَيَتَجَنَّبُونَ كُلَّ شَرٍّ
 وَيَبْتَغِدُونَ عَمَّا يُعَابُ عَلَيْهِ النَّاسُ . وَهُمْ الَّذِينَ يَرَأْفُونَ بِالرِّعَايَةِ وَيَسْعَوْنَ بِهَا
 بِحِلْمِهِمْ وَيَسْمَلُونَهَا بِعُطْفِهِمْ ، وَيَسْبِغُونَ عَلَيْهَا يَدَ الْجُودِ ، وَلَا يَفْكُرُونَ فِي
 الْعُدْوَانِ عَلَى أَحَدٍ ، أَوْ الْبَغْيِ عَلَيْهِ (وَالْعُرَامُ هُوَ الْجَهْلُ) . وَقَدْ اعْتَدَلَ
 الْهَاشِمِيُّونَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلَزَمُوا جَانِبَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ حِينَ رَكِبَ غَيْرَهُمْ
 مَتْنُ الشُّطْطِ وَالْبَغْيِ وَالْجَوْرِ وَالْعُسْفِ ؛ (وَالزَّوَامِلُ الْإِبِلُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا
 الْحَمُولَةُ ، فَيَكُونُ الشَّاعِرُ قَدْ شَبِهَ الْآثَامَ بِالزَّوَامِلِ) .

ومنها :

خيرُ حَيٍّ ومَيِّتٍ من بنى آ دم طراً ما يؤمهم والإمام
 كان ميتاً جنازة خير ميت غيبته مقابرُ الأقوام
 وجنيناً ومريضاً ساكن الم د وبعد الرضاع عند الفطام
 خير مُسترضع وخير فطيم وجنين أقرّ في الأرحام
 وغلاماً وناشئاً ثم كهلاً خير كهلي وناشئ وغلام
 أنقذ الله شلونا من شفا الذ ا به نعمة من المنعم
 طيب الأصل طيب العود في البد ية والفرع يثري تهاى

يقول إن بنى هاشم خير حى وخير ميت سواء فى ذلك الإمام
 والمأموم ثم ذكر أن رسول الله كان خير ميت وأكمل لإنسان من يوم
 أن كان جنينا إلى أن انتقل إلى جوار ربه. والشاعر يرجو أن ينجيه الله
 من عذاب النار بشفاعة رسوله . والمنعم هو الله الذى ينعم على عبده
 بالخير والبركات . « والشلو الجلد » ، « والشفا حرف كل شئ » ، ثم قال
 إن الرسول كان طيب الأصل وطيب البنية والتكوين ، طيب الخلق
 والخلق .

أما بعد فقد رأيت كيف كان الكميّ يمدح العلويين وينتصر لهم
 فى وقت أوجب الأمويون فيه سب على ولعنه ، وتبعوا كل من عرف
 بهواه لآل على بالسجن والقتل والتعذيب والاضطهاد والحرمان .
 كل شئ ، فكان الناس لا يجرءون على ذكر على . ولكن بالرغم من

هذا كان الكيت الشاعر الوحيد في عصره الذي استطاع أن يرفع صوته بمدح الهاشمين والدفاع عن حقهم ، والطعن الشديد على الأمويين في غير خوف ولا وجل . ولم يقلع عن هذا إلا فترة قصيرة حين شعر بالخطر فاضطر إلى مدح الأمويين . روى أنه لما حضرته الوفاة فتح عينيه وقال : اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد .

(٢) كثير

هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود . قال أبو الفرج ^(١) « هو من فحول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريرا والفرزدق والأخطل والراعي . وكان غالبا في التشيع يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ ، وكان مُحققا مشهورا بذلك » . وقال ابن سلام ^(٢) في كتابه طبقات الشعراء « سمعت يونس النحوى يقول كان ابن أبي اسحاق يقول : كان كثير أشعر أهل الإسلام » .

أخلاقه وصفاته : كان كثير ساذجا سريع التصديق لكل ما يقال له . وكان كثير التيه بنفسه ، عظيم الخيلاء ، كما كان مفراطا في القصر دميم الحلقة . قال ابن سلام الجهمي « قال يونس النحوى : كثير أشعر أهل الإسلام كان قصيرا مفراط القصر . روى عن الوقاص أنه قال : رأيت

كثيراً يطوف بالبيت ، فن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه ،
وقد هجاه الشاعر المعروف بالحزين الكنانى بقوله :

قصير القميص فاحشٌ عند بيته يَعْصُ القرادُ بِأَسْنِهِ وهو قائمٌ
شاعريته : كان كثير غزير الشعر قويه . ذكر ابن رشيق فى كتاب

العمدة « أن مروان بن أبى حفصه كان يقدم كثيراً فى المدح على جرير
والفرزدق . وقال أبو الفتوح « أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال حدثنى

الزبير بن بكار قال كتب إلى إسحق بن ابراهيم الموصلى حدثنى ابراهيم بن
سعد قال : إني لأروى لكثير ثلاثين قصيدة لو رُتِي بها مجنونٌ لَأَفَاقُ ،

وروى أبو الفرج أيضاً أن ابن أبى عبيدة كان يملئ شعر كثير بثلاثين ديناراً .
تشيعه : كان كثير شديد الحب لآل على ، قضى حياته كلها وهو

معمور القلب بالإخلاص والولاء لهم . روى أنه كان بمكة فأمر بلعن على
فرقى المنبر وأخذ بأستار الكعبة وقال :

ببِياضِ الدِّمَاطِ^(١) من بطن ريم فيخفِضُ الشُّجُونُ من^(٢) أَلْجَامِ
أَيُسَبُّ المَظْهُورُونَ أَصُولاً وَالكَرَامُ الخُتُولُ والأَعْمَامِ

يَأْمَنُ الطَّيْرُ والحَمَامُ ولا يَأْمَنُ آلُ الرُّسُولِ عِنْدَ المَقَامِ
رَحْمَةُ اللهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كُلَّمَا قَامَ قَائِمَ الأَسْلَامِ

قال أبو الفرج « فلما سمع الناس قوله هذا أنزلوه من المنبر وأتخنوه

ضرباً بالنعال وغيرها فقال :

إِنْ أَمْرًا كَانَتْ مَسَاوِيُهُ حُبُّ النَّبِيِّ لَغَيْرِ ذِي عَتَبِ

(١) الدمات جمع دمث وهو المكان اللين ذو الرمل . (٢) الجام موضع فى المدينة .

وبني أبي حسنٍ ووالدُهم من طاب في الآرحام والصلبِ
أترون ذنباً أن نَسَبَهُمُ بل حُبُّهم كفارة الذنب

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد : ومن الروافض كثير عزة الشاعر
ولما حضرته الوفا دعا ابنة أخ له فقال: يا بنة أخي ، إن عمك كان يحب
هذا الرجل ، فأحبيه ، يعنى على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، فقالت :
نصيحتك ياعم مردودة عليك ، أحبه والله خلاف الحب الذى أحببته
أنت ، فقال لها : برئت منك . وأنشد يقول :

برئت إلى الأله من ابن أروى ^(١) ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عُمرى برئتُ ومن عتيق ^(٢) غداة دُعِى ^(٣) أمير المؤمنين

وقد بلغ من حبه لآل على أنه كان يهب لأطفالهم ما يحصل عليه من
جوائز وصالات ومنح وهبات . قال أبو الفرج : كان كثير شيعيا ، وكان
يأتى ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه ، فيهب لهم الدراهم ويقول :
وأبأى الأنبياء الصغار ! فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان .
وهو أخوهم لأمهم ياعم : هب لى ، فيقول لا ، لست من الشجرة ،

علاقته بمحمد بن الحنفية : كان عبد الله بن الزبير شديد الوطأة على
العلويين ^(٤) يتابعهم بكل مكروه ، ويفرى بهم على المنابر ويصرح ويعرض
بذكرهم ، فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم ، ثم بدا له فقبس ابن الحنفية
في سجن عارم ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم فجعلهم فى محبس

(١) ابن أروى : عثمان بن عفان . (٢) عتيق : أبو بكر .

(٣) دعى لغة فى دعى . (٤) الأغاني ج ١٤/٩ .

وملأه حطباً وأضرم فيه النار . وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلي وسائر
شيعته محمد بن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير . فكان ذلك
سبب إيقاعه به . وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم
فأطفأها واستنقذهم وأخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير يومئذ
فقال كثير في ذلك :

لك الويل من عيلى خَيْبٍ وثابتٍ وحمة أشباه الحِداء^(١) التوائم
تُحْبَرُ مَنْ لَأَقِيَتْ أَنْكَ عَائِدُ بل العائدُ المظلومُ في سجنٍ^(٢) عارم
فمن ير هذا الشيخ بالخيف من مَيِّ من الناس يَعْلَمُ أَنَّهُ غير ظالمٍ -
تَسِيُّ النَّبِيَّ المصطفى وابن عمه وفكأكُ أغلالٍ ونَفَاعُ غارمٍ -
أبى فهو لا يَشْرِى هُدًى بضلالةٍ ولا يتقى في الله لومةَ لائمٍ -
وَنَحْنُ بِحمدِ الله نتلو كتابه حُلُولاً بهذا الخيف خيفِ المحارِمِ
بِحَيْثُ الحَبَامُ آمِنُ الرُّوعِ ساكنُ وحيثُ العدو كالصديقِ المسالمِ
فما فرحُ الدنيا بباقي لأَهْلِهِ ولا شِدَّةُ البُلُوَى بضربةٍ لازمٍ
ومن قوله يمدح محمد بن الحنفية وقد تلطف به ودعاه إليه وسأله
عن أبنائه :

أَقْرَأَ اللهُ عَيْنِي إِذْ دَعَانِي أَمِينُ اللهِ يُلَطِّفُ فِي السُّؤَالِ
وَأَتْنِي فِي هَوَايَ عَلَى خَيْرِ وَيَسْأَلُ عَنْ بَنِيَّ وَكَيْفَ حَالِي

(١) خيب وثابت وحمة أولاد عبد الله بن الزبير : والمداء جمع حذاء ومي الطائر -
والتوائم جمع توأم . (٢) قوله عائذ لئلا يضره الله بن الزبير لأنه عاذ مألوت . والطلوم
هو ابن الحنفية وسجن عارم سجن مكة .

وكيف ذكرت حال أبي خَبَيْبٍ وَزَلَّةَ فَعْلِهِ عِنْدَ السَّوَالِ (١)
هو المهديُّ خَبَرَنَا كعب أخوالاً حبار في الحقب الخوالي
والبيت الأخير يظهر لنا كيف كان الشيعة يستحلون لأنفسهم الكذب
في سبيل تأييد مذهبهم . فأنت ترى كثيراً قد ادعى في هذا البيت أن
كعباً خبره بأن ابن الحنفية هو المهدي المنتظر . فلما قيل له ألقيت كعباً ؟
قال : لا ، قيل له : فلم قلت « خبرناه كعب » ؟ قال بالتوهم (٢)
اعتقاده في ابن الحنفية : كان كثير يقدر ابن الحنفية ويحمله ويرى
أنه هو المهدي المنتظر . ومع أن ابن الحنفية مات سنة ٨١ هـ بالمدينة وصلى
عليه أبان بن عثمان بن عفان ودفن بالبقيع ، إلا أن كثيراً رفض كما
رفض غيره ممن يذهب مذهب الكيسانية أن يصدق ذلك ، وظل معتقداً
بأنه حي لم يموت ، يقيم بجبل رَضْوَى وعنده غسل وماء وأن الملائكة
تسعى إليه وتراجع الكلام . وهو بين أسد ونمر يَحْفَظَانِهِ قال :

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قَرِيشٍ وَلَاَهُ الْحَقُّ أَرْبَعَةً سِوَاهُ
عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسَبُّ سَبْطِ إِيْمَانٍ وَبِرٍ وَسَبُّ غَيْبَتِهِ كَرِبَاءُ
تَغَيْبٍ لَا يُرَى عَنْهُمْ زَمَانًا بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

علاقته بأبي هاشم عبد الله : وكان كثير على درجة كبيرة من الغفلة
وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي يعلم ذلك جيداً فكان يضع الأرصاد
على كثير . فلا يزال يوثى بالخبر من عنده ، فيقول إذا لقيه : كنت في

(١) أبو خبيب هو عبد الله بن الزبير .

(٢) الأغاني ٩ / ١٦ .

كذا وكنت في كذا ، إلى أن جرى بين كثير وبين رجل كلام فأتى به أبو هاشم فأقبل به على أدراجه ، فقال له أبو هاشم : كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا وكذا ، وقال لك كذا وكذا ، فقال له كثير : أشهد أنك رسول الله .

مدحه لآل مروان : وكان كثير مع حبه الشديد لآل على يمدح آل مروان ليظفر منهم بالعطايا والمنح . ولا شك في أنه لم يكن صادقا في مدحهم ، وكان بنو أمية يعلون منه ذلك ويحتملونه منه لأنه كان يمدحهم فيحسن مدحهم . قال أبو الفرج ^(١) : « وكان آل مروان يعلون بمذهبه فلا يُغيرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محله في أنفسهم وعندهم » . وقد قال له ابن الحنفية : « زعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان » قال : « إنما أسخر منهم وأجعلهم حيات وعقارب ، وأخذ أموالهم » . ومن هذا ترى الفرق عظيما بين كثير والكيت . فالكيت عرض نفسه كما مربنا للهلاك أما كثير فإنه استطاع أن يجمع بين حبه لآل على وبين رضا آل مروان فلم يتعرض لمثل ما تعرض له الكيت بل عاش آمناً مطمئناً . وقد رحل إلى العراق وقدم مصر واشتهر بكثرة غزله بحسناء تسمى عزة حتى قرن بها فأصبح يعرف باسم (كثير عزة)

وفاته : توفي كثير عام ١٠٥ هـ في نفس اليوم الذي توفي فيه عكرمة مولى ابن عباس . قال أبو الفرج : « فاجتمعت قریش في جنازة كثير ، ولم يوجد لعكرمة من يحمله . وقيل مات اليوم أقمه الناس وأشعر الناس » .

(٣) العبلى

هو عبدالله بن عمر ينتهى نسبه إلى عبدالله بن شمس بن عبد مناف .
فهو أموى النسب ولكنه كان علوى الهوى . ويكنى أبا عدي . وهو كما
قال صاحب الأغاني شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين .

تشيعه : كان أبو عدى محباً لآل على ، مخلصاً فى حبه لهم . وقد جر
عليه هذا سخط الأمويين فاضطهدوه واحتقروه ، وأقصوه عنهم ،
ومنعوا عنه عطاءهم وقد احتمل كل هذا دون أن تلين قناته . قال أبو الفرج
وكان أبو عدى الأموى الشاعر يكره ما يجرى عليه بنو أمية من ذكر على
ابن أبى طالب صلوات الله عليه ، وسبه على المنابر ، ويظهر الإنكار لذلك
فشهد عليه قوم من بنى أمية بمكة بذلك ونهوه عنه فانتقل إلى المدينة
وقال فى ذلك .

شَرَدُوا بى عِنْدَ امْتِدَاحِى عَلِيًّا	وَرَأَوْا ذَاكَ فِى دَاءٍ دَوِيًّا
فَوَرَبِّى لَا أَرْجُ الدَّهْرَ حَتَّى	تُخْتَلَى ^(١) مُهَجِّى بِحِجِّى عَلِيًّا
وَبَلِيهٍ لِحُبِّ أَحْمَدَ إِنْى	كُنْتُ أَحَبَّتَهُم بِحِجِّى النَّبِيَّا
حُبِّ دِينَ لَا حُبَّ دُنْيَا وَشِرَالِ	حُبِّ حُبِّ يَكُونُ دُنْيَاوِيًّا
صَاغِيَّ اللَّهِ فِى الذُّؤَابَةِ مِنْهُمْ	لَا زَيْنَا وَلَا سَنِيْدَا ^(٢) دَعِيَّا
عَدَوِيًّا خَالِي صَرِيْحَا وَجَدِّى	عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ أَبَوِيَّا
فَسَوَاءٌ عَلَيَّ لَسْتُ أَبَالَى	عَيْشِيًّا دُعِيْتُ أَمْ هَاشِمِيَّا

(١) تقطع مهجى : يقول إنه يموت على حبههم .
(٢) الدعى بالقوم الصديق بهم دون أن يكون منهم .

وكان أحيانا يمدح الأمويين لينال منهم شيئا من العطاء ولكنهم كانوا يعرضون عنه ويهملون أمره . وإذا منحوه فالنزر اليسير . لقد مدح هشام بن عبد الملك بقصيدة جاء فيها :

عبد شمس أبوك وهو أبونا لا تناديك من مكان بعيد
والقرايات بيننا واشجأتُ مُحْكَمَاتُ القوى بجبل شديد
وظل العبلي واقفا بباب هشام بينما سائر الناس قد سمح لهم بالدخول
وأخيرا دعى فبنحه هشام قدرا يسيرا من المال لم يرضه لنفسه فانصرف
وقال :

حسن حظي أن كنتُ من عبد شمس ليتني كنت من بني غزوم
فأفوز الغداة فيهم بسهم وأبيع الأب الكريم بلوم
وبنو غزوم سبقوا أبا عدى في الدخول على هشام فأجزل لهم العطاء

ولما سقطت الدولة الأموية رثاها بقصيدة قوية جاء فيها :

فبنو أمية خير من وطىء الثرى شرفا وأفضل ساسة أمراؤها

ولما أفضت الدولة إلى بني هاشم وجدوا في تعقب الأمويين والفتك بهم حتى خشي صاحبنا على حياته من الهلاك إذ أنه أموى النسب كما قدمنا . قال صاحب الأغاني : كان أبوعدى الذى يقال له العبلي يحفوا في أيام بني مروان ، وكان الأمر في قتلهم جد إلا من هرب وطار على وجهه يخاف أبوعدى أن يقع به مكروه في تلك الغورة فتوارى . وأخذ

داود بن علي حرمه وماله ، فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح ، فدخل عليه في غمار الناس متكررا وجلس حَجْرَةً (ناحية) حتى تقوض القوم وتفرقوا وبقى أبو العباس مع خاصته ، فوثب إليه أبو عدى فوقف بين يديه وقال تصيدة جاء فيها :

إلى أهل الرسول نذت برحلى عذافرة ترمى بالصَّحاري
ومنها :

أَتَوَخَّذُ نِسْوَتي وَمِحْازِ مالى وقد جَاهَرْتُ لو أغنى جِهاري
وَأَذَعُرُ أَنْ دُعِيتُ لِعَبْدِ شَيْسٍ وقد أَمْسَكْتُ بِالْحَرَمِ الصَّواري
بِنَصْرَةِ هاشِمٍ وَبِحَقِّ صِهْرٍ لِأَحْمَدَ لَفَّهُ طِيبُ التِّجَارِ
وَمَنْزِلُ هاشِمٍ مِنْ عَبْدِ شَيْسٍ مَكَانُ الْجِيدِ مِنْ عُليا الْفِقَارِ
فَقَالَ لَهُ السَّفاحُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فانتسب له فقال له : حق لعمرى أعرفه
قد يما ومودة لا أجددها ، وكتب إلى داود بن علي بإطلاق من حبسه من
أهله ورد أمواله عليه وإكرامه ، وأمر له بنفقة توصله المدينة ،^(١) .

غضب المنصور عليه : ولكن المنصور سمع بقصائده التي يثرى بها
بني أمية فاستقدمه إلى قصره واستلشه تلك القصائد فقال له : اعفى
يا أمير المؤمنين ، ولكن المنصور أبى إعفائه ، فأنشد إحدى هذه القصائد
بعد أن أمته المنصور على حياته ، حتى إذا وصل إلى قوله :
فبنو أمية خير من وطئ الثرى شرفا وأفضلُ ساسةِ أمراؤها
قال له : أخرج عني لا قرب الله دارك . فخرج من عنده حتى إذا جاء .

المدينة وجد محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج على المنصور فانضم إليه وبايعه . وكان محمد بن عبد الله شديد الميل للعلي ، فعينه واليا على الطائف فذهب إليها وأقام بها حتى انهزم محمد بن عبد الله فشرع صاحبنا بالكرامة التي تعرض لها فهرب إلى اليمن .

(٤) السيد الحميري

هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، يكنى أبا هاشم ويلقب بالسيد . وهو يمني من حمير . قال :
إني امرؤ حميري غير مؤتسب جدّي رعينٌ واخوال ذووزن
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به يوم القيامة للهادي أبي الحسن
مولده : ولد السيد الحميري من أبوين إباحيين^(١) بالبصرة عام ١٠٥ هـ في نفس السنة التي مات فيها كثير . وكان أبواه يكفران عليا ويسبانه . روى الأصفهاني^(٢) عن اسماعيل بن الساحر راوية السيد أنه قال : كنت عنده يوما في جناح له ، فأجال بصره ثم قال ، : يا اسماعيل ، طال والله ما شتم أمير المؤمنين عليّ في هذا الجناح . قلت : ومن كان يفعل ذلك ؟ قال : أبواي ، وفي ذلك يقول :

لعن الله والديّ جميعا ثم أصلاهما عذاب الجحيم
شاعريته : والسيد الحميري شاعر مطلق مطبوع ، جيد الشعر إلى أبعد حد ، كثير القصيد . قال الجاحظ في كتاب البيان^(٣) والتبيين

(١) قوم من الخوارج يسبون عليا ويكفرونه .

(٢) الأغاني . (٣) البيان والتبيين ج ١ / ٥٤ .

« والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية وابن أبي عيينة ، وقال أبو الفرج « وكان شاعرا متقدما مطوعا ، يقال بأن أكثر الناس شعرا في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم ، وكان الأصمعي يقول « لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته » .

وبحسب الآن نقرأ كثيرا لأبي العتاهية ، ولكننا لا نكاد نجد شيئا نقرأه للسيد ، فقد ضاع شعره ، وماتت شهرته ، واندثرت أخباره وقبره في زوايا النسيان ، وذلك لأن شعره حوى كثيرا من السب للصحابة فهجره الناس خوفا على أنفسهم من الكفر . قال صاحب الأغاني : « وإنما مات ذكره ، وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره ، وما يستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتحوى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تخوفا وتوقيا » .

تشيعه : نشأ السيد الحميري في بيت كثير فيه سب على ولعنه ، فلم يسلك مسلك أبويه في هذا ، بل مال بطبيعته إلى آل علي ، وأحبههم حبا شديدا وأخلص في حبه ، وأفرط في ولائه . وقد عرف أبواه ذلك منه فهما بقتله . وكان على مذهب الكيسانية يدين برجعة محمد بن الحنفية . قال الشهرستاني^(١) عند الكلام عن محمد بن الحنفية « كان السيد الحميري

يعتقد أنه لم يمت وأنه في جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه وعنده
عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملاً الأرض
عدلاً كما ملئت جوراً ، وقال صاحب فوات الوفيات « كان رافضياً
زائغاً عن القصد له مدائح جمة في آل البيت » . وقال ابن حزم ^(١) « ومنهم
من قال بنبوته » أى على بن أبى طالب ، وبتناسخ الأرواح ومنهم السيد
الحيرى . والرأى عندى أن ابن حزم لم يوفق إلى الصواب فيما ذكر عن
السيد ، فأخبار هذا الشاعر وقصائده التى وصلت إلينا لا تؤيد قول
ابن حزم فيه بل هى تثبت إثباتاً قاطعاً أن السيد كان يؤمن بعلى كوصى
للرسول وكخليفة له بالنص وأن من خالف أمر الرسول فقد كفر ،
ولهذا اتهم على بعض الصحابة بمن ناهضوا علياً بالظعن والسب واللعن .

عاش السيد طوال حياته يشيد بمناب آل البيت ، ويدود عنهم ،
ويدافع عن حقوقهم المهضومة ، وكان قويا في دفاعه ، جريئاً في إظهار
حبه وإخلاصه . وقد بلغ به حبه لآل على أنه كان إذا رأى رجلاً ينال
منهم لا يتأخر عن قتله إن استطاع إلى ذلك سبيلاً . روى أنه كان
مسافراً إلى الأهواز على ظهر سفينة ، وكان معه رجل أظهر بغضه
لعلى ، فلما كان الليل قام هذا الرجل ووقف على حرف السفينة ليبول ،
فما كان من السيد الحيرى إلا أن دفعه فهوى المسكين في الماء وغرق .
وسمع مرة رجلاً ينالهن عثمان فقال :

شَفِيتَ من نَعَثٍ في نَحْتِ أَثْلَتِهِ فاعْمَدْ هُدَيْتَ إلى نَحْتِ الغَوِيَّتَيْنِ
اعْمَدْ هُدَيْتَ إلى نَحْتِ اللّٰذَيْنِ هما كانا على الشَّرِّ لو شاء غَنِيَّتَيْنِ

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١١٤ .

وقال وهو يحتضر :

بَرَأْتُ إِلَى الْإِلَهِ مِنْ ابْنِ أَرْوَى وَمِنْ دِينِ الْخَوَارِجِ أَجْمَعِينَ

وكان السيد كما رأيت مما تقدم يدين بإمامة محمد بن الحنفية ويعتقد أنه هو المهدي المنتظر . فهو من هذه الناحية يتفق مع كثير في المذهب ، ونتج عن هذا أن بعض أشعار أحدهما تنسب للآخر . وللسيد الحميري قصيدة جيدة خاطب فيها ابن الحنفية مستعجلا عودته لأنه غاب ستين عاما ، وقد أضر غيابه بقومه . قال :

أَلَا قُلْ لِلْوَصِيِّ فِدَتَكَ نَفْسِي أَطْلَتَ بِذَلِكَ الْجَبَلَ الْمُقَامَا
أَضُرَّ بِمَعْشِرٍ وَالْوَكَّ مِنَّا وَسَمَّوكَ الْخَلِيفَةَ وَالْإِمَامَا
وَعَادَ وَافِيكَ أَهْلَ الْأَرْضِ طَرًّا مَقَامُكَ عَنْهُمْ سِتِّينَ عَامَا
وَمَا ذَاقَ ابْنُ خَوْلَةٍ طَعْمَ مَوْتٍ وَلَا وَارَتْ لَهُ أَرْضٌ عِظَامَا
لَقَدْ أَوْفَى بِمَوْرَقِ شَعْبٍ رَضَوِي تَرَاجَعُهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَلَامَا
وإِنْ لَهُ بِهِ لَمَقِيلٌ صَدَقَ وَأُنْدِيَّةٌ تَحْدُثُهُ كِرَامَا
هَدَانَا اللَّهُ إِذْ جُزِّئْتُمْ لِأُمُورٍ بِهِ وَلَدِيهِ نَلْتَمِسُ التَّمَامَا
تَمَامَ مَوَدَّةِ الْمَهْدِيِّ حَتَّى تَرَوْا رَايَاتِنَا تَنْتَرَى نِظَامَا

وقد نسب الدكتور طه^(١) حسين بك هذه القصيدة إلى كثير . قال « وأنا أروى لك شيئا من شعر كثير فيها « الرجعة » فانظر إلى هذه الآيات الجيدة التي يتعجل بها عودة ابن الحنفية إلى الأرض ليرفع فيها لواء بني هاشم » ثم أورد القصيدة السالفة وعلق عليها بقوله « ولعلك

(١) حديث الأرباء ١٠ / ٣٦٥ .

تلاحظ معي أن غياب محمد بن الحنفية وإن كان أضمر بقوم فليس كثير من هؤلاء القوم . . . ولكن نسبة هذه القصيدة إلى كثير خطأ شنيع لأن نظرة بسيطة فيها تنفي نسبتها إلى كثير نفيًا باتًا . أنظر إلى ما ورد فيها .

وعادوا فيك أهل الأرض طرا مقامك عنهم سستين عاما
فإذا كان محمد بن الحنفية مات عام ٨١ هـ لزم أن يكون قائل هذا الشعر موجودا في عام ١٤١ هـ . ومن حيث إن كثيرا مات في عام ١٠٥ هـ ولم يعيش سستين عاما بعد ابن الحنفية ، فمن المؤكد أنه لم يقل هذا الشعر .

كان السيد لا يسمع بمنقبة لعل إلا نظم فيها شعرا . وحدث أنه كان في مجلس ونسب إليه الرفص فأنكر ، فطلب منه بعض الحاضرين أن يمدح أبا بكر وعمر . فقال في ذلك مشيرا إلى حادثة غدِير خُم ، وقد سبق أن تكلمنا عنها عند الشعر المنسوب إلى الإمام على .

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد	ولا عهده يوم الغدير المؤكدا
فإني كن يشري الضلالة بالهدى	تنصر من بعد الثقي وهمودا
ومالي وتيم أو عدى وإنما	أولو نعمتي في الله من آل أحدا
تيم صلاتي بالصلاة عليهم	ولست صلاتي بعد أن أتشهدا
بكاملة إن لم أصل عليهم	وأدع لهم ربا كريما ممجدا
بذلت لهم ودي ونصحي ونصرتي	مدى الدهر ما سمييت يا صاح أحدا
وإن أمرا يلحن على صدق ودهم	أحق وأولى فيهم أن يفندا
فإن شئت فاختر عاجل الغم صلة	وإلا فأمسك كي تصان وتحمدا

ثم نهض مغضبا .

وسمع السيد مرة رجلا يقول : أشعر الناس من قال :

محمد خيرٌ من يمشى على قدمٍ وصاحباهُ وعثمانُ بنُ عفانا

فوثب السيد وقال : أشعر والله منه الذى يقول :

سائلُ قريشًا إذا ما كنتَ ذَا عمٍ من كان أثبتَها في الدينِ أوتادًا
من كان أعلَّها علما وأحكمها حلما وأصدقها قولاً وميعادًا
إن يصدُّوكَ فلن يعضدوا أباهُ حسنٍ إن أنتَ لم تلقَ للأبرارِ حسادًا

وكان السيد يجلس مع قوم أخذوا يتحدثون عن الزرع والنخل ،

فهم بالانصراف فسئل عن سبب ذلك فقال .

إني لأكره أن أطيّلَ بمجلسٍ لا ذكّرَ فيه لِفَضْلِ آلِ محمدٍ
لا ذكرَ فيه لأحمدٍ ووصيّهِ وبليهِ ذلكَ مجلسٌ نطفَ ندى
إن الذى ينسأهمُ فى مجلسٍ حتى يُفارِقَهُ لغيرِ مُسدّدٍ

ومن قوله فى محمد بن الحنفية .

يَغِيبُ عنهمُ حتى يقولوا تَضَمَّنَهُ بِطَيْبَةِ بَطْنِ لُحْدٍ
سِينِ وَأَشْهَرًا وَيُرَى بِرِضْوَى بِشَعْبِ بَيْنِ أَنْمَارٍ وَأُسْدٍ
مُقِيمٌ بَيْنِ آرَامٍ وَعَيْنٍ وَحَفَانٍ تروحُ خِلَالَ رُبْدٍ
تُرَاعِيهَا السَّبَاعُ وَلَيْسَ مِنْهَا مُلَاقِيَنَّ مُفْتَرِسًا بِحَدِّ
أَمِنَ بِهِ الرَّدَى فَرْتَعَنَ طَوْرًا بِلا خَوْفٍ لَدَى مَرْعَى وَوَرْدٍ

حلفتُ برب مكة والمُصلَّى وببيتِ طاهرِ الأركانِ فردَّ
يَطوفُ به الحُجَّيجُ وكلَّ عامٍ يحلُّ لديهِ وقدُّ بعد وقدَّ
لقد كان ابنُ خولةَ غيرَ شكٍّ صَفَاءَ ولايتي وخلوصَ ودِّي
فما أحَدٌ أحبُّ إليَّ فيما أُسرُّ وما أبوحُ به وأبدي.

وهي طويلة ترى فيها خيالا ممتعا أخذ ينمو يوما بعد يوم حتى
أصبح عند عامة المسلمين حقائق لا تقبل الشك ولا يأتيها الباطل .

مدحه للعباسيين : ولما كان السيد يؤمن برجعة ابن الحنفية ، لم يجد
بأسا في مدح العباسيين ، فقال فيهم القصائد الرائعة ، ونال منهم الجوائز
والصلوات . وكان العباسيون يعرفون أنه غير صادق في مدحهم لكنهم
كانوا يتغاضون عنه . وقد كان لا يرى مانعا من كسب عطف العباسيين
وانتظار ساعة الفرج والخلاص ، تلك الساعة التي اشتاق كثيرا إليها ،
وهي التي يرجع فيها محمد بن الحنفية يقدمه اللواء ، ليملا الأرض عدلا
وصلاحا كما ملئت جورا وفسادا . وهو في موقفه من العباسيين يشبه
تماما موقف كثير من الأمويين .

وفاته : توفي السيد ببغداد عام ١٧٣ هـ في أوائل خلافة الرئيد .

(٥) دعبل الخزاعي

هو دَعْبِلُ بن علي بن رزين بن سليمان ، ويكنى أبا علي . ينتهي نسبه إلى خزاعة فهو يمني ولذلك كان يتعصب لليمانية .

مولده : ولد عام ١٤٨ هـ ببلدة الطيب وهي بين واسط وبغداد .

شاعريته : قال ابن خلكان « كان شاعرا مجيدا ، إلا أنه كان بذيء اللسان ، مولعا بالهجو والخط من أقدار الناس » ، وقال أبو الفرج^(١) « شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان » وهو تلميذ مسلم بن الوليد الأنصاري وعليه تخرج . وكان البحري يفضل على مسلم . قال « دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم » فقليل له : فكيف ذاك ، قال « لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم^(٢) » .
أخلاقه وصفاته : كان دعبل هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ، ولا من الوزراء ولا من أولادهم ولا ذو نباهة أحسن إليه أم لم يحسن ولا أفلت منه كبير أو عظيم . هجا الرشيد والمأمون والمعتصم . وكان كثير الأسفار ، أقام مدة ببغداد ثم رحل منها إلى دمشق ومصر كما سافر إلى خراسان .

تشييعه : قال أبو الفرج « وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل إلى على صلوات الله عليه ، وقد نظم قصيدة في مدح آل البيت تعتبر من أحسن الشعر وأسنى المدائح ، قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان

(١) الأغانى ج ٢٩/١٨ .

(٢) الأغانى ج ٣٧/١٨ .

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه فسمع بذلك أهل بلدة قم « وهي بين خراسان والعراق » فقصدوا دعبلا وعرضوا عليه أن يبيعهم هذا الثوب بثلاثين ألف درهم فأبى فألحوا عليه ولكنه أمعن في الإباء ، ففكروا في أن يأخذوه غصبا ، عندئذ اضطر إلى إجابتهم إلى ما طلبوا على أن يعطوه كجا يضعه في كفنه . وقد قيل إنه كتب هذه القصيدة في ثوب وأحرم فيه وأوصى أن يكون في أكفانه . قال ياقوت : « ونسخ هذه القصيدة مختلفة في بعضها زيادات يظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة ، وإنا موردون هنا ما صح منها . قال :

مَدَّ أَيْسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ	ومنزُلٌ وحى مُقْفَرُ الْعَرَصَاتِ
لَا لِرَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى	وبالزُّكْنِ والتَّعْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ	وحَمْرَةَ وَالسَّجَادِ ^(١) ذِي الثَّنَاتِ
دِيَارُ عَفَاها كُلَّ جَوْنٍ مُبَاكِرٍ	ولم تَعْفُ لِلْأَيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ
فَقَفَا نَسْأَلُ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا	مَتَى عَهْدُهَا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ
وَأَيْنَ الْأُولَى شَطَطَتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى	أَفَانِينَ فِي الْأَفَاقِ ^(٢) مُفْتَرَقَاتِ
هُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ إِذَا اعْتَزَوْا	وَهُمْ خَيْرُ قَادَاتٍ وَخَيْرُ حُجَّاتِ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدٌ وَمُكَذِّبٌ	وَمُضْطَظِّنٌ ذُو إِحْنَةٍ وَتِرَاتِ
إِذَا ذَكَّرُوا قَتْلَى يَبْدُرٍ وَخَيْرٍ	وَيَوْمَ حُحْنٍ أَسْبَلُوا الْعَبْرَاتِ
قُبُورُ بُكَوَاتٍ وَأُخْرَى بِطَيِّبَةٍ	وَأُخْرَى بِفَخٍّ نَالَهَا صَلَوَاتِ

(١) هو علي بن عبد الله بن العباس سمي بذلك لكثرة السجود يريد أن ركنته تأثرتا

بالسجود .

(٢) شططت بعدت وأفانين حال مما قبله .

وقبرٌ ببغدادِ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ
 فَأَمَّا الْمُصِصَّاتُ الَّتِي لَسْتُ بِالْعَا
 إِلَى الْحَشْرِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ قَائِمًا
 نَفُوسُ لَدَى النَّهْرَيْنِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا
 تَقْسَمُهُمْ رَبُّ الزَّمَانِ كَمَا تَرَى
 سِوَى أَنَّ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ عُصْبَةٌ
 قَلِيلَةٌ زُؤَارٍ سِوَى بَعْضِ زُورٍ
 لَهُمْ كُلَّ حِينٍ نَوْمَةٌ بِمُضَاجِعٍ
 وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَأَهْلِهَا
 تَكَبُّ لَأَوَاءِ^(١) السَّنِينِ جَوَارُهُمْ
 إِذَا وَرَدُوا نَحِيلًا تَشْمُسُ بِالنَّهْرِ
 وَإِنْ فَخَرُوا يَوْمًا أَتَوْا بِمُحَمَّدٍ
 مَلَامِكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ
 تَخَيَّرْتُهُمْ رُشْدًا لِأَمْرِي فَإِنَّهُمْ
 فَيَارَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ
 بِنَفْسِي أَنْتُمْ مِنْ كَهُولٍ وَفُتْنَةٍ
 أَحِبُّ قِصَى الرَّحْمَنِ مِنْ أَجْلِ حَبْكُمُ

تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرَفَاتِ
 مَبَالِغَهَا مِثِّي بِكُنْهِ صِفَاتِ
 يُفَرِّجُ مِنْهَا الْهَمَّ وَالْكَرْبَاتِ
 مُعَرِّسُهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ
 لَهُمْ عُحْمَرَةٌ مَغْشِيَةُ الْحُجَرَاتِ
 مَدَى الدَّهْرِ أَنْضَاءٌ عَنِ الْأَزْمَاتِ
 مِنَ الصَّنْعِ وَالْعِقْبَانِ وَالرَّحْمَاتِ
 لَهُمْ فِي تَوَاحِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفَاتِ
 مَعَاوِيرُ^(٢) يُخْتَارُونَ فِي السَّرَوَاتِ
 فَلَا تَصْطَلِبُهُمْ بَحْمَرَةُ الْجَمَرَاتِ
 مَسَاعِرُ بَحْرِ الْمَوْتِ وَالْغَمَرَاتِ
 وَجَبْرِيلَ وَالْفِرْقَانِ ذِي السُّورَاتِ
 أَحْيَايَ مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي
 عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرَةٌ الْخَيْرَاتِ
 وَزِدْ حُبَّهُمْ يَارَبِّ فِي حَسَنَاتِي
 لِفَكَ عُنَاةٍ أَوْ لِحِمْلٍ دِيَاتِ
 وَأَهْجُرْ فِيكُمْ أَسْرَتِي وَبَنَاتِي

(١) معاوير جمع منوار : المقاتل الكثير العاراب .

(٢) اللأواء : الشدة وضيق العيش .

وَأَكْتُمُ حَيْسِكُمْ خَفَاةً كَاشِحٍ
لَقَدْ حَقَّتْ الْآيَامُ حَوْلَ بَشَرِهَا
أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نُحَفُ جُجُومِهِمْ
بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ
إِذَا وُتِرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ
قُلُوبُهَا الَّتِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغَدِ
خُرُوجِ إِمَامٍ لِمَعَالَةِ خَارِجٍ^(١)
يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
سَأَقْصُرُ نَفْسِي جَاهِدًا عَنْ جَدِّهِمْ
فِيَا نَفْسَ طَيْبِي وَيَا نَفْسَ أَيْشَرِي
فَإِنَّ قَرَبَ الرَّحْمَنِ مِنْ تِلْكَ مُدَّتِي
سُفِّيتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي رِزْيَةً
أَحَاوَلْتُ نَقْلَ الشَّمْسِ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا
فَمَنْ عَارَفٍ لَمْ يَنْتَفِعْ وَمُعَانِدٍ
قُصَارَايَ مِنْهُمْ أَنْ أَمُوتَ بِغُصَّةٍ
كَأَنَّكَ بِالْأَضْلَاعِ قَدْ ضَاقَ رَحْبُهَا

عَنِدِي لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرُ مَوَاتٍ
وَلِمَئِي لَا رَجُوءَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِي
وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فَيْتِهِمْ صَفَرَاتٍ
وَأَلْ زِيَادِ حُفْلٍ^(٢) الْقَصَرَاتِ
وَأَلْ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْقَلَوَاتِ
أَكْفًا عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقِضَاتِ
لَقَطَعَ قَلْبِي لِمُرْهُمُ حَسَرَاتِي
يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ
وَيَجْزِي عَلَى النِّعَمَاءِ وَالنِّقَمَاتِ
كَفَاتِي مَا أَلْتَقَى مِنَ الْعِبَرَاتِ
فَغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ مَا هُوَاتِ
وَأَخَّرَ مِنْ عُمرِي لِطُولِ حَيَاتِي
وَرَوَيْتُ مِنْهُمْ مِنْهُلِي وَقَاتِي
وَأَسْمِعُ أَحْجَارًا مِنَ الصَّلَاتِ
يَمِيلُ مَعَ الْإِهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ
تَرَدَّدُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَاللَّهَوَاتِ
لَمَّا ضَمَنْتُ مِنْ شِدَّةِ الزَّفَرَاتِ

(١) جمع قصرة وهي العنق .

(٢) خارج صفة لامام وخبر لامحدوف تقديره واقع

فأنت تلبح في هذه القصيدة أن دعبلا كان يرى رأى كثير والسيد
الخميري من أن هناك إماما سيرجع ويقوم على اسم الله والبركات ، يزيل
ما وقع على العلويين من ظلم واضطهاد ، ويتنقم من أعدائهم شر انتقام .
وكان دعبل يعلل نفسه بهذه الآمال ويعزيها ويواسيها بخروج إمام لا محالة
خارج . ولم يسلك دعبل سبيل كثير والسيد الخميري في هجاء الصحابة
وسبهم ، بل اكتفى بمدح العلويين والطنن في أعدائهم من أمويين
وعباسيين . وقد بكى على بن موسى الرضاء بكاء شديدا حينما أنشده
دعبل هذه القصيدة ، وتجلّى حزنه وجزعه ، وارتفع عويل النساء
وصياحهم فكان من هذا منظر مؤثر . وفي هذه القصيدة يقول أبو الفرج^(١)
« وقصيدته مدارس آيات خلعت من تلاوة . من أحسن الشعر وفاخر
المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام » . وقال ياقوت (قصيدته التائية
في أهل البيت من أحسن الشعر وفاخر المدائح)

وفاته : وظل دعبل طول حياته مرهوب اللسان ، خائفا من هجائه
الخلفاء ، فقضى دهره كله هاربا متواريا . . . كان يقول « أنا أحمل خشيتي
على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أخدا يصلبني عليها »
مات سنة ٢٤٦ هـ

(٦) ابن الرومي

هو علي بن العباس . ولد ببغداد عام ٢٢١ هـ وتوفي بها عام ٢٨٤ هـ فأدرك ثمانية خلفاء من بني العباس . وكانت الخلافة العباسية في تلك الأيام قد سقطت مكانها إلى الخوض . ورالت هيبتها وانعدم نفوذ الخلفاء وانحلت الامبراطورية الإسلامية وقامت على أنقاضها دول مستقلة شاعريته: كان ابن الرومي قوى الشاعرية ، يعوص على المعاني غوصا ويأتى بما يتير الإعجاب في النفوس . وقد ترك شعراً كثيراً جمع في ديوان ضخيم .

أخلاقه وصفاته : كان ابن الرومي يتطير ويفرط في التطير وقد عرف أصحابه منه ذلك فركبوه بالدعابة والسخرية . وكان ابن الرومي جريئاً جداً في هجاء الأمراء والوزراء والعظماء ، لم يسلم من لسانه أحد من معاصريه . وبينه وبين دعبل شبه كبير في هذا الباب .
تقافته وتهذيبه : أخذ ابن الرومي بقسط وافر من العلوم والمعارف فألم بالفلسفة إلاماً جيداً ظهر أثره في شعره كما ألم بقسط وافر من الشعر وحفظ القرآن في صباه ، ووعى قدراً وافراً من التاريخ والأدب .

تشييعه : كان ابن الرومي محباً لآل علي . وقد ورث هذا الحب عن أبويه ، فقد كانت أمه من أصل فارسي والفرس بطبيعتهم ميالون إلى آل علي . وسمى علياً وهو أحب اسم عند الشيعة . ولذلك نشأ على ما نشأ عليه أبواه من ولاء وإخلاص لآل البيت وكان غاضباً على العباسيين ، ساخطاً عليهم ، يتمنى زوالهم ويشتهى ذهابهم ، ويؤمل أن تقوم على

أنقاض الخلافة العباسية خلافة علوية . وله قصيدة جيمية يرى بها يحيى
بن عمر بن حسين بن علي . وكان قد ثار في وجه العباسيين ، بعد أن
حرمه العباسيون من المال حتى أملق إملاقاً شديداً وعانى شظف العيش
وقسوة الفقر . وكان يحيى محبوباً من الناس لما امتاز به من صفات حميدة ،
وخلال كريمة . وقد هزم وقتل وحملت رأسه إلى بغداد وعلقت على
عمود ، فلما رآها البغداديون هموا بالثورة فبادر أولو الأمر بإنزالها ،
وقد ثار خاطر ابن الرومي وعظم ألمه لما يقع على آل البيت من نكبات
جسام من حين إلى حين ، فجادت قريحته بقصيدة في منتهى القوة
والروعة نذكر منها :

أَمَّا مَلِكُ فَانْظُرْ أَيَّ نَهْجِيكَ تَنْهَجُ	طَرِيقَانِ شَيْءٍ ، مُسْتَقِيمٌ وَأَعْوَجُ
أَلَا أَهْذَا النَّاسَ طَالَ ضَرِيرُكُمْ	بِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ فَخَشَوْا وَأَوَّجَحُوا
أَكُلْ أَوْ إِنْ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٌ	قَتِيلٌ زَكِيُّ الدِّمَاءِ مُضَرَّجٌ
تَتَّبِعُونَ فِيهِ الدِّينَ شَرَّ أُمَّةِ	فَلِلَّهِ دِينُ اللَّهِ قَدْ كَادَ يَمْرُجُ
بَنِي الْمُصْطَفَى أَكْمَى كُلِّ النَّاسِ شُلُوكُمْ	لَبَلُّواكُمْ — عَمَّا قَلِيلٍ — مُفَرَّجُ
أَمَّا فِيهِمْ رَاعٍ لِحَقِّ نَبِيِّهِ	وَلَا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ يَتَخَرَّجُ
أَلَا خَابَ مِنْ أَنْسَاءِ مِنْكُمْ نَصِيحُهُ	مَتَاعٌ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَزَبْرَجُ
أَبْعَدَ الْمَكْتَى بِالْحُسَيْنِ شَهِيدَكُمْ	تَضَى مَصَابِيحُ السَّمَاءِ قَسْرَجُ
وَكَيْفَ تُبْكِي فَائِزًا عِنْدَ رَبِّهِ	لَهُ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ عَيْشٌ ^(١) تَحْرَجُ
وَقَدْ نَالَ فِي الدُّنْيَا سَنَاءً وَصِيَّهُ	وَقَامَ مَقَامًا لَمْ يَقْمَهُ مَزَلَجُ
فَإِنْ لَا يَكُنْ حَيًّا لِدُنْيَا فَإِنَّهُ	لَدَى اللَّهِ حَيٌّ فِي الْجَنَانِ مُزَوَّجُ
وَكُنَّا نَرْجِيهِ لِكَشْفِ عَمَائِهِ	بِأَمثَالِهِ أَمْثَالُهَا تَبْلَجُ

أَيُّتُ إِذَا نَامَ الْحَلِيُّ كَأَنَّمَا
أُبْحِي الْعُلَى لِذِكْرِكَ لَهْفَةً
أَحِينَ تَرَاءَتِكَ الْعَيُونُ جَلَاءَهَا
نَفْسِي وَإِنْ فَاتَ الْفِدَاءُ بِكَ الرَّدَى
لِمَنْ تَسْجِدُ الْأَرْضُ بَعْدَكَ زِينَةً
سَلَامٌ وَرِيحَانٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ
وَلَا بَرَحَ الْقَاعِ الَّذِي أَنْتَ جَارُهُ

ومنها في الطعن على العباسيين :

اجْتَنُوا بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ شَتَائِنِكُمْ
وَحَلُّوا وَلَاةَ السُّوءِ مِنْكُمْ وَغِيهِمْ
نَظَارٍ لَكُمْ أَنْ يُرْجِعَ الْحَقُّ رَاجِعٌ
عَلَى حِينٍ لَا عُدْرَى لِمُعْتَذِرِيكُمْ
فَلَا تَلْقَحُوا الْآنَ الضَّغَائِنَ بَيْنَكُمْ
غُرِّرْتُمْ لِأَنْ صَدَقْتُمْ أَنْ حَالَةً
لَعَلَّ لَكُمْ فِي مُنْطَوَى الْغَيْبِ ثَأْرًا
بِمَجَرِّ تَضْيِيقِ الْأَرْضِ مِنْ ذَرَائِهِ
إِذَا شِيمَ بِالْأَبْصَارِ أَبْرَقَ بَيْضُهُ
يُؤَيِّدُهُ رُكْنَانِ ثُبَّتَانِ ، رَجُلَةٌ
عَلَيْهَا رِجَالٌ كَالْيُوثِ بِسَالَةٍ

وَأَوْكُوا عَلَى مَا فِي الْعُبَابِ وَأَشْرِجُوا
فَأَخْرِجِيهِمْ أَنْ يَغْرُقُوا حَيْثُ لَجَّجُوا
إِلَى أَهْلِهِ يَوْمًا قَتَشَجُوا كَمَا شَجُوا
وَلَا لَكُمْ مِنْ حِجَّةِ اللَّهِ مَخْرَجٌ
وَبَيْنَهُمْ إِنَّ اللَّوَايِحَ تَنْتِجُ
تَدُومُ لَكُمْ ، وَالدَّهْرُ لَوْ نَانَ أَخْرَجُ
سَيَسْمُو لَكُمْ وَالصَّبْحُ فِي اللَّيْلِ مُوجُ
لَهُ زَجَلٌ يُنْفِي الْوَحْشَ وَهَزْمُجُ
بَوَارِقَ لَا يَطِيعُهُنَّ الْمُجَمَّعُ
وَخَيْلٌ كَأَرْسَالِ الْجَرَادِ وَأَوْشَجُ
بَأَمْثَالِهَا يُثْنَى الْآبِيُّ فَيَنْعَجُ

تَدَانُوا فَالْنَفْعُ فِيهِمْ خِصَاصَةٌ
فَيَدْرِكُ ثَارَ اللَّهِ أَنْصَارُ دِينِهِ
وَيَقْضَى إِمَامُ الْحَقِّ فِيكُمْ قَضَاءَهُ
وَتُظْلَعُنُ خَوْفَ السَّيِّئِ بَعْدَ إِقَامَةِ
وَمِنْهَا :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يَمْسُوا خِصَاصًا ، وَأَنْتُمْ
تَمْشُونَ مَخْتَلِينَ فِي حُجَرَاتِكُمْ
وَلَيْدُهُمْ بَادِي الضَّوَى وَوَلِيدُكُمْ
تَذُودُونَهُمْ عَنْ حَوْضِهِمْ بِسُيُوفِكُمْ
فَقَدْ أَلْجَأْتَهُمْ خِيفَةَ الْقَتْلِ عَنْكُمْ
يَكَادُ أَخُوكُمْ بَطْنُهُ يَتَّبِعُ
ثِقَالُ الْخَطِيءِ أَكْفَالُكُمْ تَتَرَجَّرُ
مِنَ الرَّيْفِ رَيَّانُ الْعِظَامِ حَدَّ لُجٍّ
وَيُشْرَعُ فِيهِ أَرْتِيلُ وَأَبْلَجُ
وَبِالْقَوْمِ حَاجٌ فِي الْحَيَازِمِ حُوجٌ

وَمِنْهَا :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَطْلُبُوا وَتَخَبُّشُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ وَكَانَ أَبُوكُمْ
فَلَنْ تَعْدَمُوا مَا حَنَّتْ النِّيبُ فِتْنَةً
وَقَدْ بَدَأَتْ لَوْ تُزْجَرُونَ بِرِيحِهَا
وَأَنْ يَسْقُوا بِالصَّالِحَاتِ وَيَفْلُجُوا
أَبَاهُمْ فَإِنَّ الصَّقْفَ بِالرَّنْقِ يُمَزَّجُ
تَحْشَى كَمَا حَشَى الْحَرِيقُ الْمُؤَرَّجُ
بَوَائِجِهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ تَبَوَّجُ

فَأَنْتَ تَرَى فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الطَّوِيلَةِ أَنَّ ابْنَ الرُّومِيِّ عَرَضَ نَفْسَهُ
لِاتِّتْقَامِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمِنْ مَالَاهُمْ مِنْ أَمْرَاءَ وَوُزَرَاءَ وَقَوَادِ ، لَمْ يَخْتِشْ
صَاحِبَنَا بِطَتِّهِمْ وَلَا كَيْدَهُمْ وَرَاحَ يَعْصِرُ بِآلِ الْعَبَّاسِ تَعْرِيزًا تَسْدِيدًا ،
وَيَنْذِرُهُمْ عَاقِبَةَ الْبَغْيِ وَالْعَدَوَانِ بِقِيَامِ رَجُلٍ مِنْ آلِ الْبَيْتِ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ

قوى ، يستطيع أن يدمر الخلافة العباسية تدميرا تاما وأن يحكم الناس بالعدل والإحسان ويقضى على الفحشاء والمنكر والبغى . وذكر أن هذه الثورة قد ظهرت بوادرها وأصبح زوال العباسيين قاب قوسين أو أدنى . وقد تشيع ابن الرومى فى غير هذه القصيدة ، مما لا داعى لذكره . وقد كان صاحبنا معتدلا فى تشيعه فلن تجد له كلمة نابية فى حق أحد من الصحابة .

(٧) المفجع البصرى

هو محمد بن عبيد الله الكاتب المعروف بالمفجع البصرى . ويكنى أبا عبد الله . قال ابن النديم فى كتاب الفهرست ^(١) إنه «لقى ثعلبا وأخذ عنه وعن غيره . وكان شاعرا شيعيا وله قصيدة يسميها بالأشباه يمدح فيها عليا عليه السلام ، وقال صاحب يتيمة الدهر «والمفجع البصرى صاحب ابن دريد والقائم مقامه فى التأليف والإملاء . حدث ابن نصر قال ، حدثني بعض المشايخ البصريين قال : كان المفجع وشمال يتهاجيان وكان شمال سنيا والمفجع شيعيا ، ثم أورد الثعالبي مقطوعة للمفجع فى هجاء شمال أعرضت عن ذكرها لقبح ما فيها . وقد هجاء أحد الشعراء بقوله .

إن المفجع ويله شر الأوائل والأواخر
ومن النوادر أنه يملئ على الناس النوادر

وقد لقب بالمفجع لبيت قاله .

شاعريته : قال المرزبانى «هو شاعر مكثر عالم أديب ، وقال الثعالبي «وأما شعره فقليل كثير الحلاوة يكاد يقطر منه ماء الظرف ، وقال عنه

كذلك إنه « شاعر البصرة وأديبها . وكان يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنفات » .

مدحه لآل البيت : سمع المفجع حديثا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في محفل من أصحابه : إن تنظروا إلى آدم في علمه ، ونوح في همه ، وإبراهيم في خلقه ، وموسى في مناجاته ، وعيسى في سنه ، ومحمد في هديه وحله ، فانظروا إلى هذا المقبل ، فتناول الناس فإذا هو على بن أبي طالب . فأورد المفجع ذلك في قصيدة وضمنها مناقب كثيرة تعزى إلى علي . قال :

أَيُّهَا اللَّائِي لُحِي عَلِيًّا	قُمْ ذَمِيًّا إِلَى الْجَحِيمِ خَزِيًّا
أَبْخَيْرِ الْأَنَامِ عَرَّضْتَ لَارًا	مَتَّ مَذُودًا عَنِ الْهُدَى مَزُودًا
أَشْبَهَ الْأَنْبِيَاءَ كَهْلًا وَزَوْلًا	وَفَطِيًّا وَرَاضِعًا وَغَدِيًّا
كَانَ فِي عَلَيْهِ كَادَمٌ إِذْ عُدَّ	لِمَ شَرَحَ الْأَسْمَاءَ وَالْمَسْكِنِيًّا
وَكُنُوحٌ نَجَى مِنَ الْهَلَاكِ مِنْ سِيٍّ	يَرَى فِي الْفَلَاحِ إِذْ عَلَا الْجُودِيًّا
وَجَفَا فِي رِضَا إِلَالِهِ أَبَاهُ	وَاجْتَوَاهُ وَعَدَّهُ أَجْنَبِيًّا
كَاعْتِزَالِ الْخَلِيلِ آزَرَ فِي الْإِلَهِ	لَهُ وَهَجْرَانِهِ أَبَاهُ مَلِيًّا
وَدَعَا قَوْمَهُ فَأَمَّنَ لُوطٌ	أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ تَرَحُّمًا وَرِيًّا
وَعَلِيٌّ لَمَّا دَعَاهُ أَخُوهُ	سَبَقَ الْحَاضِرِينَ وَالْبَدَوِيَّا
وَلَهُ مِنْ أَبِيهِ ذِي الْأَيْدِ إِسْمَا	عَيْلٌ شَبُّهُ مَا كَانَ عَنَى حَفِيًّا
إِنَّهُ عَاوَنَ الْخَلِيلَ عَلَى الْكَفَّةِ	بِمَهْ إِذْ شَادَ رَكْنَهَا الْمَبِيًّا

ولقدعاونَ الوصيَّ حبيبَ الـ له إذ يغسلانِ منها الصِّفيا
 أمَّ حملِ النَّبيِّ كي يَقطعَ الأصـ نامَ من سطحها المثلَ الحُبيا
 خُناه ثقلُ النبوةِ جتى كاذَ ينادَ تحتهِ مُثليا
 فارتقى منكبَ النَّبيِّ عليَّ صِنُوهُ ماأَجَلْ ذا المرقيا
 فأحاطَ اللثامَ عن ظاهرِ الكع بهِ يَنبئى الرَّجاسَ عنها نَفيا
 ولو أن الوصيَّ حاولَ مَسَّ الذِّ جَمَ بالكفِّ لم يَجِدْهُ قَصيا
 أفهلُ تَعْرِفُونَ غَيْرَ عليِّ وابنهِ اسرَّحَلَ النَّبيِّ مَطيا
 أورد ياقوت^(١) هذه القصيدة وقال «وشعر المفتح كثير حسن» .

وقد مدح بعض العلويين المعاصرين له بكثير من القصائد الجيدة
 نذكر منها قصيدته التي مدح بها أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب الزينبي وهي:
 للزَّينبيِّ على جَلالةِ قدرِه خُلِقَ كطعمِ الماءِ غيرِ مُرِّدٍ
 وشهامةِ تُفصِّي اللبث إذا سَطَا ونَدَى يُغَرِّقُ كُلَّ بَحْرِ مُرِّدٍ
 يَحْتَلُّ بَيْتًا في ذُؤَابَةِ هاشمٍ طالتْ دَعائِمُهُ تَحَلَّ الفرقدِ
 حُرُّ يَرُوحُ المُسْتَمِيعُ وَيَعْتَدِي بمواهبٍ منه تَرُوحُ وَتَعْتَدِي
 فإذا تَخَيَّفَ مالُه وعطاؤُه في يومه بهكَ البَقِيَّةِ في غَدِ
 بِضِيَاءِ سُلَّتِهِ المكارِمُ تَهْتَدِي وبجودِ راحته السحابُ تَهْتَدِي
 مقدار ما بيني وما بين الغنى مقدارُ ما بيني وبين المِرْبَدِ

ولم يصل إلينا من أخبار المُفَجَّع ما يفيد تعرضه للصحابة كما فعل غيره من شعراء الشيعة . والظاهر أنه لم يكن غاليا في التشيع ولا مُحَمَّقا . وقد ضاع شعره حتى لا نكاد نعرف منه شيئا سوى ما تقدم .
وفاته : وكانت وفاة المفجع البصرى فى سنة ٣٢٧ هـ

(٨) الشريف الرضى

هو أبو الحسن بن الطاهر أبي احمد الحسين ينتهى نسبه إلى على بن أبي طالب .

مولده : ولد الشريف الرضى عام ٣٦١ هـ وعاش خمسة واربعين عاما أدرك فى خلالها ثلاثة خلفاء من بنى العباس هم المطيع لله والطائع لله والقادر بالله وفى أيام هذا الخليفة توفى شاعرا .

عصره : كان عصر الشريف الرضى عصر قن واضطرابات ومعارك كثيرة تقع بين الأتراك والديلم فى بغداد كان يترتب عليها أن تسفك دماء ، وتحرب أحياء أهلة بالسكان ، ويتعرض الناس للهلاك ، وتنتشر اللصوصية ، وتصيح المحال التجارية عرضة للنهب والسلب ، والدور للحرق والتدمير ولم يكن للخليفة العباسى أى نفوذ خارج قصره . وقد أصبح الحكام الحقيقيون للعراق من آل بويه .

ثقافته وتهذيبه : بدأ الشريف الرضى ثقافته بأن قرأ القرآن على أبى اسحاق ابراهيم الطبرى وهو حدث . ثم أعاد حفظه بعد أن تخطى هذه السن . وكانت أمه تعنى بشؤون أبنائها عناية فائقة . وتهتم بتثقيفهم وتهذيبهم منذ حداثهم فقد روى ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة أنها

دخلت يوما المسجد إلى أبي عبدالله محمد بن النعمان الفقيه الإمامي وحوّلها جواربها وبين يديها ابناها الرضى والمرضى فقام إليها وسلم فقالت : أيها الشيخ هذا ولدأى قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه فتولى تعليمهما ، وذكر ابن جنى أن الشريف الرضى أحضر إلى ابن السيرافى النحوى المشهور فتلقي عنه علم النحو .

تصرفه وعمله : ولّى الشريف الرضى نقابة الطالبين وهى رئاسة آل البيت العلوى والحكم فيهم أجمعين مستقلين عن طبقات الأمة الاسلاميه . كان نقيباً فى بغداد أولاً ثم جعله بنو بويه نقيباً للطالبين فى بلاد فارس بأجمعها . وكان يضم إلى ذلك العمل النظر فى المظالم والحج بالناس . وهذه الأعمال كان يتولاها والده الطاهر ثم تنازل عنها لابنه الرضى ، لأن هذا كان يمنى نفسه بالخلافة ، وكان يفكر كثيراً فى سبيل تحقيق هذه الأمنية نخشى والده عليه شر العباسيين وبطشهم ، فأسند إليه هذه الأعمال ليشغله بها عن التفكير فى موضوع الخلافة ، وليسكن خاطره الشاثر ويخفف من حدته وغليانه . قال فى ذلك :

وَلِى النّقَابَةِ خَالُ أُمِّ قَبْلُ ثُمَّ أَيْى وَجَدِى

وَوَلِيَّتْهَا طِفْلاً فَهَلْ بَجْدٌ يُعَدُّ مِثْلُ بَجْدِى

ولكنه برم بها فردها إلى والده الذى توفى عام ٤٠٠ هـ فاضطر صاحبنا إلى القيام بأعبائها وبقي كذلك حتى مات فى سنة ٤٠٦ هـ فتولاه من بعده أخوه المرضى

وقد اتخذ الشريف المرضى فى حياته داراً أسماها دار العلم ، وكان يجتمع بهذه الدار طلبة العلم الملازمون له .

وقد وضع كثيراً من الكتب والرسائل كما أنه بذل مجهوداً كبيراً في جمع ما حواه كتاب « نهج البلاغة »

مذهبه : كان الشريف الرضى يدين بمذهب الإمامية الاثنا عشرية الذين يرون أن الخلافة في أبناء الحسين .

آماله وأمانيه : كان الشريف الرضى يبنى نفسه بمنصب الخلافة ، فلم تهدأ له نفس ، ولم يسكن له خاطر ، ولم تصف له الحياة قط بل كان في تفكير متواصل ، وهم وقلق وحزن شديد ، تارة يرى الأمل أمامه مقبلاً وتارة يرى ظلمات اليأس مخيمة في سماء تفكيره .

وبما شجع الشريف الرضى على الاسترسال في آماله مارآه من ضعف الخلافة العباسية ضعفاً تاماً ، وما شاهده من انحلالها وذهاب نفوذها وسلطانها . وما شجعه كذلك أن آل بويه كانوا من غلاة الشيعة الذين يدينون بالولاء لآل علي . ويذكر المؤرخون أن الملوك البويهيين كانوا يحرضون النساء على الخروج وعمل المناحات والبكاء والعويل في شوارع بغداد وطرقاتها في مثل اليوم الذي قتل فيه الحسين من كل عام وكان الشريف الرضى يرى ذلك بعيني رأسه فيقوى أمله ويزداد تعلقه بالخلافة ووجلاها . وكان له أنصار كثيرون منهم أبو اسحق الصائبي الذي كان يزعم أن طالع صاحبنا يدل على أنه سيرقى حتماً إلى هذا المنصب الرفيع . وكانت تدور بينهما قصائد بهذا المعنى ، فمن ذلك قول إسحاق الصائبي وقد بعث بها إلى الشريف الرضى :

أَبَا حَسَنِ لِي فِي الرَّجَالِ فِرَاسَةٌ تَعَوَّدْتُ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ قَضْدَقًا
وَقَدْ خَبَّرْتَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَاجِدٌ سَتَرْتَنِي مِنَ الْعِلْيَاءِ أَعْدُ مُرْتَقِيً
فَوْفَيْكَ، التَّعْظِيمَ قَبْلَ أَوَانِهِ وَقُلْتُ أَطَالَ اللَّهُ لِلْسَّيِّدِ الْبَقَا
وَأَضْمَرْتُ مِنْهُ لَفْظَةً لَمْ أَجْعَلْ بِهَا إِلَى أَنْ أَرَى إِطْلَاقَهَا لِي مُطْلَقًا
فَإِنْ عِشْتُ أَوْ لَمْ أَتْ فَاذْكُرْ بِشَارَتِي وَأَوْجِبْ بِهَا حَقًّا عَلَيْكَ مُحَقَّقًا
وَكُنْ لِي فِي الْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِ حَافِظًا إِذَا مَا أَطْمَأَنَّنْتُ الْجَنْبُ فِي مَوْضِعِ الْبَقَا

فَأَجَابَهُ الشَّرِيفُ الرُّضَى بِقَوْلِهِ :

سَنَنْتَ لِهَذَا الرَّيْحِ غَرْبًا مَذَّاقًا وَأَجْرَيْتَنِي ذَا الْهِنْدُؤَانِي رَوْنَقًا
وَسَوَّيْتُ ذَا الطَّرْفِ الْجَوَادَ وَإِنَّمَا شَرَعْتَ لَهُ نَهْجًا فَخَبَّ وَأَعْنَقَا
لَنْ بَرَقَتْ مِنِّي تَحَايِلُ عَارِضٍ لَعَلَّيْكَ يَقْضَى أَنْ يَجُودَ وَيَغْدَقَا
فَلَيْسَ بِسَاقٍ قَبْلَ رَبْعِكَ مَرْبَعًا وَلَيْسَ بِرَاقٍ قَبْلَ جُودِكَ مُرْتَقِيً

ثم إن ملوك آل بويه كانوا يمتنون بها ويعدون به بقرب صيرورتها إليه
فلا عجب أن سيطر عليه حلم الخلافة ، وملك عليه مشاعره وأصبح
شبهها ماثلاً أمامه في القومة والقعدة ، والمنام واليقظة ، وفي كل مكان
يذهب إليه قال :

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى النُّجُومِ سَأَحِلُّهَا عَلَى الْخَطَرِ الْعَظِيمِ
وَلِي أَمَلٌ كَصَدْرِ الرُّمَحِ مَاضٍ سِوَى أَنْ اللَّيَالِي مِنْ خُصُومِي
وَمَالِي هِمَّةٌ إِلَّا الْمَعَالِي وَذَبُّ الضَّمِّ عَنْ نَسَبِ صَمِيمِ

لماذا فشل؟؟ : كان الشريف الرضى ينتظر من البويهيين أن يساعده في الوصول إلى منصب الخلافة ، ولكن هؤلاء كانوا ينظرون إلى مصالحهم الشخصية . ومصلحتهم كانت تقضى بوجود خلافة اسمية لاحول لها ولا قوة ولا جاه ولا سلطان . وهذا كان متوفرا في خلافة بنى العباس الذين كانوا يُؤَلَّوْنَ بأمر البويهيين ولم يكن لهم من مظاهر الحكم غير ذكر أسمائهم في الخطبة . وكان آل بويه يخشون قيام خلافة عربية قوية تقضى على حكمهم قضاء مبرما وتعيد مجد الامبراطورية الإسلامية كما كان أولا ، لذلك لم يجد صاحبنا منهم عونا . وقضى حياته يضاجع الأحلام

يأسه وحزنه : لما رأى الشريف الرضى هذا الفشل العظيم الذى لحقه وأدرك أن أمنيته لا تتحقق أخذ منه اليأس كل مأخذ فطفق يبكى وينوح ويندب آماله الضائعة ، قال :

وعدت يادهرُ شيئا بتُّ أرقبه وما أرى منك إلا وعدَ عُرُقوب
وحاجةً أتقاضاها وتمطلنى كأنها حاجةٌ فى نفس يعقوب
لأتعبنَّ على السداء راحلةً والليلُ بالريح خفاقُ الجلايب
. لقد أخذ اليأس يسرى فى الرجل ، وشاعت روح الكآبة والحزن

فى شعره قال :

ما مقامى على الهوانِ وعندي مقولٌ صارمٌ وأنفٌ تحيى
وإباءٌ مُحَلِّقٌ بى عن الضيمِ كما راعَ طائرٌ وحشياً
أى عذرٍ له إلى المجدِ إن ذلٌّ فى غديه المشرقى
أحملُ الضيمَ فى بلادِ الأعادى وبصرَ الخليفة العلوى

من أبوه أبى ومولاه مولا ى إذا ضامني البعيد القصى
لف عيرقي بعرقه سيدنا بين جميعا محمد وعلي
إن ذلّ بذلك الجو عز وأوامي بذلك النقع رى
قد يذلّ العزيز مالم يُشمر لا نطلاق وقد يُضام الأبي
إن شراً على إسرار عزمي في طلاب العلا وحطى بطي
أرتضى بالأذى ولم يقف العز م قصورا ولم تعر المطي
كالذى يخبط الظلام وقد أوق مر من تحلفه النهار المضى

قيل إن هذه الآيات وصلت إلى يد الخليفة القادر بالله فعضب غضباً شديداً ، وعقد مجلساً وأحضر فيه أبا الطاهر الموسوى والد الشريف الرضى وابنه المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء ، وأبرز لهم آيات الشريف السالفة الذكر . وتقدم حاجب الخليفة وقال للنقيب أنى أحمد (والد الرضى) قل لولدك : محمد (الشريف الرضى) أى هو أن قد أقام عليه عندنا ؟ وأى ذل أصابه فى ملكنا ؟ وما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه ؟؟ أكان يصنع معه أكثر من صنيعنا ؟؟ ألم نوله النقابة ؟ ألم نوله المظالم ؟؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحج ؟؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ؟؟ ما نظنه كان يكون — لو حصل عنده — إلا واحداً من أفتاء الطالبيين ؟؟ فقال له النقيب أبو أحمد : أما هذا الشعر فما لم نسمعه ولا رأيناه بخطه . ولا يعد أن يكون بعض أعدائه نحلة إياه وعزاه له ، فقال القادر : إن كان كذلك فليكتب الآن محضر بذلك يشهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب

أبو أحمد (والد الشريف) وابنه المرتضى ، وكان هذا المحضر بمثابة إقرار يتضمن قدما في نسب العلويين حكام مصر في ذلك الحين . وحمل إلى الرضى ليوقه ، حمله إليه أبوه ، فامتنع ولكنه أنكر الشعر واعترف كتابة بأنه ليس بشعره ولا يعرفه .

شاعريته : امتاز الشريف الرضى بشاعرية قوية جداً تتدفق تدفق المحيط . فإذا انطلق لسانه بالرثاء أتى بالقصائد الطويلة التي تزيد على المائة بيت ومعظمها مما يسيل العبرات ، وإذا مدح أطال وأتى بما يرقص بمدوحه وإذا افتخر أبدع وأجاد ، وأتى في أبيات معدودة بما لا يتيسر لغيره أن يأتي به في قصيدة طويلة .

التشيع في شعره : ذكر الشريف الرضى كثيراً من مناقب علي وآل بيته في قصائد كثيرة ودافع عن حق العلويين في الحكم . ورثى الحسين بجملة قصائد رائعة إلى أبعد حدود الروعة . ومن تلك القصائد قوله :

هذى المنازلُ بالغميم فنادها	واسكُبْ سَخِيَّ العين بعد جمادها
إن كان دينٌ للعالم فاقضه	أو مهجة عند الطلول ففادها
يا هَلْ تَبْلُ من الغليلِ إليهمُ	إِشْرَاقَةٌ لِلرَّكْبِ فوقَ نجادها
نُؤَى كُنْعَظِ الحَنِيَّةِ دَنَهُ	سُحْمُ الخُدودِ لَهَنَ إرثُ رَمَادها
وَمَنَاطُ أَطْنَابٍ وَمَقْعَدُ فِئَةٍ	تَحْبُو زناد الحى غيرَ زِنَادها
وَمَجْرُ أَرَسَانِ الجِيَادِ لَغْلَةٍ	سَجَفُوا البُيُوتَ بِشَقْرِها وِوَرَادها

ولقد حَبَسْتُ عَلَى الدِّيَارِ عَصَابَةً
حَسَرَى نُجَاوِبُ بِالْبُكَاءِ عِيُونُهَا
وَقَفُّوا بِهَا حَتَّى كَانَ مَطْيِئَهُمْ
ثُمَّ انْتَشَتِ وَالِدَمْعُ مَاءَ مَزَادِهَا
مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلٍ حَامِلٍ رَنَةٍ
حَيْثُكَ بَلْ حَيْثُ طُلُوكِ دَيْمَةٍ
وَعَدْتُ عَلَيْكَ مِنَ الْخَائِلِ يَمَنَةً
هَلْ تَطْلُبُونَ مِنَ النَّوَاطِرِ بَعْدَ كَمْ
لَمْ يَبْقُ ذَخْرٌ لِلدُّافِعِ عَنْكُمْ
شَغَلَ الدُّمُوعَ عَنِ الدِّيَارِ بُكَاءُهَا
لَمْ يَخْلِفُوهَا فِي الشَّهِيدِ وَقَدْ رَأَى
أَتْرَى دَرَّتْ أَنْ الْحُسَيْنَ طَرِيدَةً
كَانَتْ مَا نَمُّ بِالْعِرَاقِ تَعْدُهَا
مَا رَاقَبْتُ غَضَبَ النَّبِيِّ وَقَدْ غَدَا
بَاعَتْ بَصَارُ دِينِهَا بِضَلَالِهَا
جَعَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ خَصَائِهَا
نَسَلُ النَّبِيِّ عَلَى صَعَابِ مَطْيِئِهَا
وَالْهَفَّتَاهُ لِعُصْبَةِ عَلَوِيَّةٍ

مُضْمُومَةٌ إِلَى الْيَدَى إِلَى أَكْبَادِهَا
وَتَعْطُ^(١) بِالزَّفَرَاتِ فِي^(٢) أَبْرَادِهَا
كَانَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ أَوْتَادِهَا
وَلَوَاعِجُ الْأَشْجَانِ مِنْ أَرْوَادِهَا
قَطَرُ الْمَدَامِيعِ مِنْ حُلِيِّ بِجَادِهَا
يَشْفِي سَقِيمَ الرَّبْعِ نَفَثُ عِيَادِهَا
تَسْتَامُ نَاقِصَةً عَلَى رُودِهَا
شَيْئًا سِوَى عِبَارَاتِهَا وَسَهَادِهَا
كَلَّا وَلَا عَيْنٌ جَرَى لِرُقَادِهَا
لُبُكَاءِ فَاطِمَةَ عَلَى أَوْلَادِهَا
دَمَعُ الْفِرَاتِ يَزَادُ عَنْ أَوْزَادِهَا
لَقْنَا بَنِي الطَّرْدَاءِ عِنْدَ وَلَادِهَا
أُمُومِيَّةٌ بِالشَّامِ مِنْ أَعْيَادِهَا
زَرَعُ النَّبِيِّ مَظَنَّةٌ لِحَصَادِهَا
وَشَرْتُ مَعَاطِبَ غَيْبِهَا بِرِشَادِهَا
فَلْبَسَ مَا ذَخَرْتُ لِيَوْمِ مَعَادِهَا
وَدُمُ النَّبِيِّ عَلَى رُؤُوسِ صَعَادِهَا
تَبِعَتْ أُمِّيَّةٌ بَعْدَ عَزِّ قِيَادِهَا

جعلت عُرَانَ الذَّلَّ في آنايها جعلت عُرَانَ الذَّلَّ في آنايها
 زَعَمْتَ بَأَنَّ الدِّينَ سَوَّغَ قَتْلَهَا زَعَمْتَ بَأَنَّ الدِّينَ سَوَّغَ قَتْلَهَا
 طلبت تراثَ الجاهليةِ عندها طلبت تراثَ الجاهليةِ عندها
 واستأثرتُ بالأمرِ عن غيَّابِها واستأثرتُ بالأمرِ عن غيَّابِها
 اللهُ سائِقُكم إلى أَرْواحِها اللهُ سائِقُكم إلى أَرْواحِها
 إن قُوِّضَتْ تلكَ القِبابُ فَإِنَّمَا إن قُوِّضَتْ تلكَ القِبابُ فَإِنَّمَا
 إن الخلافةَ أصبحتْ مَرْوِيَّةً إن الخلافةَ أصبحتْ مَرْوِيَّةً
 طَمِسَتْ مَنابِرُها علوجُ أُمِّيَّةٍ طَمِسَتْ مَنابِرُها علوجُ أُمِّيَّةٍ
 هي صفوةُ اللهِ التي أُوحي بها هي صفوةُ اللهِ التي أُوحي بها
 أَخَذَتْ بِأَطْرافِ الفَخَّارِ فَعَاذِرُ أَخَذَتْ بِأَطْرافِ الفَخَّارِ فَعَاذِرُ
 الزُّهْدِ وَالْإِحْلَامُ في مُفَتَّاكِها الزُّهْدِ وَالْإِحْلَامُ في مُفَتَّاكِها
 عَصَبٌ يُقَمِّطُ بِالنَّجَادِ وَلِيدُها عَصَبٌ يُقَمِّطُ بِالنَّجَادِ وَلِيدُها
 تَرَوِي مَناقِبَ فَضْلِها أَعْدَاؤُها تَرَوِي مَناقِبَ فَضْلِها أَعْدَاؤُها
 يا غيرةَ اللهِ اغْضَبِي لِئَنِّيهِ يا غيرةَ اللهِ اغْضَبِي لِئَنِّيهِ
 من عُصْبَةٍ ضَاعَتْ دُمَاءُ مُحَمَّدٍ من عُصْبَةٍ ضَاعَتْ دُمَاءُ مُحَمَّدٍ
 صَفَدَاتِ مالِ اللهِ ملءُ أَكْفِها صَفَدَاتِ مالِ اللهِ ملءُ أَكْفِها
 ضَرَبُوا بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ أَبْناءَهُ ضَرَبُوا بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ أَبْناءَهُ
 قِفْ بِي وَلَوْ لَوْتُ الْأَزَارِ فَإِنَّمَا قِفْ بِي وَلَوْ لَوْتُ الْأَزَارِ فَإِنَّمَا
 بِالطَّفِّ حَيْثُ غَدَا مُراقُ دُمائِها بِالطَّفِّ حَيْثُ غَدَا مُراقُ دُمائِها

وُعُلاطَ وَسَمِ الصَّيْمِ في أَجْيادِها وُعُلاطَ وَسَمِ الصَّيْمِ في أَجْيادِها
 أَوَلَيْسَ هَذَا الدِّينُ عَن أَجْدادِها أَوَلَيْسَ هَذَا الدِّينُ عَن أَجْدادِها
 وَشَفَتْ قَدِيمَ الْغِلِّ من أَحْقَادِها وَشَفَتْ قَدِيمَ الْغِلِّ من أَحْقَادِها
 وَقَصَّتْ بِمَا شَاءَتْ على شُهادِها وَقَصَّتْ بِمَا شَاءَتْ على شُهادِها
 وَكَسَبُ الْآثَامِ في أَجْسَادِها وَكَسَبُ الْآثَامِ في أَجْسَادِها
 خَرَّتْ عِمَادُ الدِّينِ قَبْلَ عِمادِها خَرَّتْ عِمَادُ الدِّينِ قَبْلَ عِمادِها
 عن شَعْبِها بَيَاضِها وَسَوادِها عن شَعْبِها بَيَاضِها وَسَوادِها
 تَنَزَّوْا ذُنُوبَهُمْ على أَعْوَادِها تَنَزَّوْا ذُنُوبَهُمْ على أَعْوَادِها
 وَقَصَّى أَوامِرَهُ إلى أَتْجَادِها وَقَصَّى أَوامِرَهُ إلى أَتْجَادِها
 أَن يُصْبِحَ الثَّقَلانِ من حُسَّادِها أَن يُصْبِحَ الثَّقَلانِ من حُسَّادِها
 وَالْفَنَكُ لولا اللهُ في زُهادِها وَالْفَنَكُ لولا اللهُ في زُهادِها
 وَمَهوْدُ صِبْيَتِها ظُهورُ جِيادِها وَمَهوْدُ صِبْيَتِها ظُهورُ جِيادِها
 أَبَدًا وَتَسْنِدُهُ إلى أَضْدادِها أَبَدًا وَتَسْنِدُهُ إلى أَضْدادِها
 وَتَرْحُزِحِي بِالْبَيْضِ عَن أَغْمادِها وَتَرْحُزِحِي بِالْبَيْضِ عَن أَغْمادِها
 وَبَيْنَهُ بَيْنَ يَزِيدِها وَزِيادِها وَبَيْنَهُ بَيْنَ يَزِيدِها وَزِيادِها
 وَأَكْفُ آلِ اللهِ في أَصْفادِها وَأَكْفُ آلِ اللهِ في أَصْفادِها
 ضَرَبَ الْغَرائبُ عُدَّتْ بَعْدَ ذِيادِها ضَرَبَ الْغَرائبُ عُدَّتْ بَعْدَ ذِيادِها
 هِيَ مُهْجَةٌ عُلِقَ الْجَوَى بِفَوادِها هِيَ مُهْجَةٌ عُلِقَ الْجَوَى بِفَوادِها
 وَمَنَّاخُ أُيُنِقِها لِيَوْمِ جِلادِها وَمَنَّاخُ أُيُنِقِها لِيَوْمِ جِلادِها

القفر من أرواقها والطيْرُ من طرّاقها والوخْشُ من عواديها
 تجرى لها حَبَبُ الدَّمُوعِ وإنّما حُبُّ القُلُوبِ يَكُنْ من أمدادها
 يا يَوْمَ عاشوراءَ كم لك لوعةٌ تَرَقَّصُ الأَحْشَاءُ من إيقادها
 ما عُدْتُ إلا عادَ قلبي غُلَّةٌ حَرَى ولو بالَغْتُ في إيرادها
 يا جَدُّ لا زالتْ كَتائبُ حَسرةٍ تَغْشَى الضميرَ بِكرّها وطرادها
 أبداً عليك وأدمعُ مسفوحةٌ إن لم يُراوِحْها البكاءُ يُغادها
 هذا الشَّاءُ وما بَلَغْتُ وإِنّما هي حَلْبَةٌ خَلَعُوا عَلَيْكَ جوادها
 أأقولُ جادَكم الرِّيعُ وأنتم في كلِّ منزلةٍ ريسُ بلاديها
 أم أَسْتَرِيدُ لكم عَلّاً بِمَنائِحِي أينَ الجِبَالُ من الرُّبَى ووهادها
 كيفَ الشَّاءُ على النّجومِ إذا سَمَتْ فوقَ العُيونِ إلى مَدَى أَبْعادها
 أَغْنَى طُلُوعُ الشَّمْسِ عن أوصافِها بِحَلالِها وضيائِها وبِإِعادها

وفاته : كان للحقيقة المرة التي اصطدم بها الشريف الرضي ولحيته
 وفشله فيما كان يسعى إليه أثر سىء في نفسه وفي صحته ، فأخذ جسمه يذبل
 شيئاً فشيئاً ، وشرعت قواه في التدهور والانحلال يوماً بعد يوم .
 وسرعان ما اختطفته يد المنون وهو في شرح الصبا . لقد مات حزينا
 ساخطاً دهره ، ناقماً على الدنيا وما فيها ومن فيها . أدركته المنية في يوم
 الأحد سادس المحرم سنة ٤٠٦ هـ ببغداد فجزع أخوه المرتضى جزعاً شديداً
 حتى أنه لم يشترك في الصلاة عليه ولم يستطع حضور دفنه . وصلى عليه

ألوزير فخر الملك وكثير من العطاء والنبلاء ودفن بداره بالكرخ ثم
نقل إلى مشهد الحسين بكر بلا حيث دفن بجوار قبر أبيه . وقد رثاه
أخو المرتضى بقوله :

يا للرجالِ لَفَجَعَةٍ جَذَمْتُ يَدِي وَوَدِدْتُ لَوْ ذَهَبْتُ عَلَىٰ بَرَاسِي .
مَا زِلْتُ أَصْدُرُ وَرْدَهَا حَتَّىٰ أَنْتَ فُحِّسْتُهَا فِي بَعْضِ مَا أَنَا حَاسِي
وَمَطَّلْتُهَا زَمَنًا فَلَمَّا صَمَّمْتُ لَمْ يُثْنِهَا مَطْلِي وَطُولُ مِكَاسِي
لِلَّهِ عُمْرُكَ مِنْ قَصِيرٍ طَاهِرٍ وَلَرُبَّ عُمَيْرٍ طَالَ بِالْأَرْجَاسِ
ورثاه تلميذه مهيار الديلمي بأكثر من قصيدة ومن ذلك قوله :

يَكُرُّ النَعْيُ فَقَالَ : أُرْدَىٰ خَيْرُهَا إِنْ كَانَ يَصْدُقُ فَالرَّضَىٰ هُوَ الرَّدَىٰ
عَادَتْ أَرَاكَةَ هَاشِمٍ مِنْ بَعْدِهِ خَوْرًا لِفَاسِ الْحَاطِبِ الْمُتَوَقِّدِ
يَجْعَتُ بِمُعْجِزِ آيَةٍ مَشْهُودَةٍ وَلَرُبَّ آيَاتٍ لَهَا لَمْ تُشْهَدِ
كَانَتْ إِذَا هِيَ فِي الْإِمَامَةِ نَوَزِعَتْ ثُمَّ ادَّعَتْ بِكَ حَقَّهَا لَمْ تُجَحِّدِ
تَبِعَتْكَ عَاقِدَةٌ عَلَيْكَ أُمُورَهَا وَعُرَىٰ تَمِيمِكَ بَعْدُ كَمَا تُعْقَدِ
وَرَأَىٰ طِفْلًا شَبِيهَا وَكَهُولَهَا فَتَرَحَّزُوا لَكَ عَنْ مَكَانِ السَّيِّدِ
أَتَفَقَّتْ عَمْرُكَ ضَائِعًا فِي حِفْظِهَا وَعَقَّقْتَ عَيْشَكَ فِي صَلَاحِ الْمُفْسِدِ
كَالنَّارِ لِلْسَارَى الْهَدَايَةُ وَالْقِرَى مِنْ ضَوَّيْهَا وَدُخَانِهَا الْبُوقِدِ

(٩) مهيار الديلبى

هو أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلبى الشاعر المشهور . قال ابن خلدكان « كان مجوسيا فأسلم ، ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضى أبى الحسين محمد الموسوى وهو شيخه وعليه تخرج فى نظم الشعر ،

علاقته بالشريف الرضى : كان مهيار يحضر دروس العلم التى كان يعقدها الشريف الرضى لكثير من الشبان فتيسر له أن يلم بقسط وافر من الأدب نظمه ونثره . وقد نشأت بين الأستاذ وتلميذه علاقة ود أخذت تقوى يوما بعد يوم ، حتى أن مهيار كان يعلق كثيراً من الآمال على أستاذه . ولما مات الشريف الرضى رثاه مهيار طويلا .

إسلامه وتشيعه : وكان من أثر العلاقات القوية بين الشريف الرضى ومهيار أن استطاع الأستاذ أن يحجب إلى تلميذه الدين الإسلامى ، فكان إسلام مهيار على يد أستاذه .

أما تشيعه فقد بدا منه قبل أن يتخذ الإسلام ديناً . وقد مدح الطالبين ورثى عليا والحسين حينما كان على دين المجوسية ، فن ذلك قوله

نَقَضْتُمْ عُهُودَهُ فِي أَهْلِهِ وَحُلْتُمْ عَنْ سَنَنِ الْمُرَاسِمِ
وَقَدْ شَهِدْتُمْ مَقْتَلَ ابْنِ عَمِّهِ خَيْرِ مُصْلٍ بَعْدَهُ وَصَائِمِ
وَمَا اسْتَحَلَّ بَاغِيًّا أَمَامَكُمْ يَزِيدُ بِالطُّفِّ مِنْ ابْنِ فَاطِمِ
ولما أسلم غلا فى تشيعه غلوًّا كبيراً وأفرط فى سب الخلفاء الأول

إفراطاً لحقه بالسيد الحميرى وقد وصل إلينا شعر مهيار كاملاً فرأينا ما جرى على لسانه من طعن ولعن . ومن ذلك قوله :

هَذِي قَضَايَا رَسُولِ اللَّهِ مُهْمَلَةٌ غَدْرًا وَشَلُّ رَسُولِ اللَّهِ مُنْصَدِعٌ
وَالنَّاسُ لِلْعَهْدِ مَا لَاقُوا وَمَا قَرَّبُوا وَلِلْخِيَانَةِ مَا غَابُوا وَمَا شَسَعُوا
وَأَلَهُ وَهُمْ آلُ الْإِلَهِ وَهُمْ رِعَاةُ ذَا الدِّينِ ضَمِيمُوا بَعْدَهُ وَرُعُوا
مِثَاقُهُ فِيهِمْ مُلَقَى وَأُمَّتُهُ مَعَ مَنْ بَغَاؤُهُمْ وَعَادَاؤُهُمْ لَهُ شَيْعٌ
تَضَاعَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْغَدِيرِ لَهُمْ بَعْدَ الرِّضَا وَتُحَاطَ الرُّومُ وَالْبَيْعُ
مُقْسِمِينَ بِأَيْمَانِهِمْ جَذَبُوا يَبُوعُهَا وَبِأَسْيَافِهِمْ طَبَعُوا
مَائِينَ نَاشِرِ حَبْلِ أَمْسِ أَبْرَمَهُ تُعَدُّ مَسْنُونَةً مِنْ بَعْدِهِ الْبَدْعُ
وَبَيْنَ مُقْتَصِرٍ بِالْمَكْرِ يَخْدَعُهُ عَنْ أَجَلٍ عَاجِلٍ حُلُوٌّ فَيَنْخَدِعُ
وَقَاتِلٍ لِي عَلَى كَانٍ وَارِنُهُ بِالنَّصْرِ مِنْهُ فَهَلْ أَعْطَوْهُ أَمْ مَسَعُوا
قَقْلَتْ كَانَتْ هُنَاتُ لَسْتُ أَذْكَرَهَا يَجْزِي بِهَا اللَّهُ أَقْوَامًا بِمَا صَنَعُوا
أَبْلَغَ رَجَالًا إِذَا سَمِيَهُمْ عُرِفُوا لَهُمْ وَجُوهٌ مِنَ الشَّحْنَاءِ تُمْتَقِعُ
تَوَافَقُوا وَقَنَاةَ الدِّينِ مَائِلَةٌ فَبَيْنَ قَامَتْ تَلَا حَوَاهِيهِ وَاقْتَرَعُوا
أَطَاعَ أَوْلَهُمْ فِي الْغَدْرِ تَانِيهِمْ وَجَاءَ ثَالِثُهُمْ يَقْفُو وَيَتَّبِعُ
قَفُّوا عَلَى نَظَرٍ فِي الْحَقِّ نَفَرَضُهُ وَالْعَقْلُ يَفْضَلُ وَالْحُجُوجُ يَنْقَطِعُ
بَأَى حَكْمَ بَنُوهُ يَتَبَعُونَكُمْ وَغَرَّكُمْ أَنْكُمْ صَحْبُ لَهُ تَبِعُ
وَكَيْفَ ضَاقَتْ عَلَى الْإِهْلِينَ قَرْبَتُهُ وَلِلْأَجَانِبِ مِنْ جَنْبِيهِ مُضْطَجِعُ
وَفِيمَ صَيَّرْتُمُ الْإِجْمَاعَ حُجَّتَكُمْ وَالنَّاسُ مَا اتَّقَوْا طَوْعًا وَلَا اجْتِمَعُوا

أمرُ عليٍّ بعيدُ من مشورتهِ مستكرهُ فيه والعباسُ يمتنع
وتدعيهِ قريشُ بالقرابةِ وال أنصارُ لا رُفْعَ فيه ولا وُضْعُ
فأئِ خُلفٍ كخُلفٍ كان بينكم لولا تُلَفَّقُ أخبارُ وتُصْطَنَعُ
ومنها :

إنكارُهم يا أمير المؤمنين لها بعد اعترافهم عارُ به أدَّرعُوا
ونكثهم بك مَيْلاً عن وصيَّتهم شرَّعُ لعمرُك ثاينٌ بعده شرَّعُوا
تركتُ أمرا ولو طالبتُهُ لدرتُ معاطسُ راغمته كيف تجتدِعُ
ليُشرِقَنَّ بحلو اليوم مرُ غدٍ إذا حصدت لهم في الخسر ما زرعُوا
فهيَّار في هذه القصيدة قد تعصب لعلی وذهب إلى أبعد حدود
التعصب فطعن في الإجماع وأنكر صحته . وذكر أن النبي عهد إلى علي
بالأمر يوم غدير خم وقد مر بنا ذكر ذلك وأن الصحابة غدروا وعضوا
الرسول واغتصبوا حق علي فأطاع أبو بكر في الغدر عمر ، ثم جاء عثمان
يمشي على آثارهم . وهؤلاء كما يقول مهيار س يحملون وزرهم يوم القيامة
وسيحاسبون على ما أتوا حسابا عسيرا . قيل له : يا مهيار ، اتقلت
بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية ، قال : وكيف ذاك ؟ قيل : لأنك
كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة .

وقد رثى مهيار الحسين بجملة قصائد ومدح عليا وسرد كثيرا من
مناقبه في شعر بديع ، ودافع عن حقوقه في الخلافة دفاعا حارا مؤثرا
ومثال ذلك قوله في مدح آل البيت .

لئن نامَ دهرى دون المني وأصبحَ عن نيلها مُقعدى
 ولم أكُ أحمدَ أفعاله فلى أسوةً بنى أحمد
 بخير الورى وبني خيرهم إذا ولدُ الخير لم يولد
 وأكرم حى على الأرض قام وميت توسد فى ملحد
 وبیت تقاصر عنه البيوت وطال عليا على الفرقد
 تحوم الملائك من حوله ويصبح للوحى دار الندي
 ألا سل قريشا ولم منهم من استوجب اللوم أو قند
 وقل: مالكم بعد طول الضلّاء ل لم تشكروا نعمة المرشد
 أناكم على فترة فاستقام بكم جائرين عن المقصد
 وولّى حميدا إلى ربّه ومن سنّ ماسنه يُحمد
 وقد جعل الأمر من بعده لحيدر بالخبر المسند
 وسماه مولى بإقرار من لو اتبع الحق لم يتحد
 فليتم بها حسد الفضل عنه ومن يك خير الورى يُحسد
 وقلتم بذاك قضى الاجتماع ألا إنما الحقّ للفرد
 يعزّ على هاشم والنبيّ تلاعبُ تيم بها أوعدى
 وإرث . على لأولاده إذا آية الإرث لم تُفسد
 فمن قاعدٍ منهم خائف ومن ثائر قام لم يُسعد
 تسلطُ بغيا أكف النفا ق منهم على سيد سيد

وما صُرِفُوا عِزُّهُمُ الصَّلَاةِ ولا عَنُفُوا فِي بَنِي الْمَسْجِدِ
 أَبَوُهُمْ وَأُمَّهُمْ مِنْ عِلْمِهِ تَ فَانْقَصُ مَفَاخِرَهُمْ أَوْزِدِ
 أَرَى مِنْ بَعْدِ يَوْمِ الْحُسَيْنِ عَلِيًّا لَهُ الْمَوْتُ بِالْمُرْصَدِ
 وَمَا الشَّرْكَ لِلَّهِ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا أَنْتَ قِيسْتَ بِمُسْتَبْعَدِ
 وَمَا آلُ حَرْبٍ جَنَوْا إِلَّا تَمَّا أَعَادُوا الضَّلَالَ عَلَى مِنْ بَدَى
 سَيَعْلَمُ مِنْ فَاطِمٍ خَصْمُهُ بِأَيِّ نِكَالٍ غَدَا يَرْتَدَى
 وَمِنْ سَاءِ أَحْمَدٍ يَاسِبْطُهُ فَبَاءَ بِقَتْلِكَ مَاذَا يَدَى ؟
 فِدَاؤُكَ نَفْسِي وَمَنْ لِي بِذَا كَ لَوْ أَنَّ مَوْلَى بَعْدِي فُدَى
 أَنَا الْعَبْدُ وَالْأَكْمُ عَقْدُهُ إِذَا الْقَلْبُ بِالْقَلْبِ لَمْ يُعْقَدِ
 وَفِيكُمْ وَدَادِي وَدِينِي مَعًا وَإِنْ كَانَ فِي فَارِسٍ مَوْلِدِي
 خَصِمْتُ ضَلَالِي بِكُمْ فَاهْتَدَيْتُ وَلَوْلَاكُمْ لَمْ أَكُنْ أَهْتَدِي

وهكذا ترى أن مهيار يضمن كل ما قاله في آل البيت كثيراً من
 المطاعن والشتائم في بعض الصحابة ولن تجد له قصيدة واحدة مما نظمها
 في هذا الباب خلت من هجوم عنيف على الشيخين .

وفاته : توفي مهيار في سنة ٤٢٨ هـ

(١٠) ابن هانيء الأندلسي

هو محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الأندلسي . يكنى أبا القاسم أو أبا الحسن . وقيل له ابن هانيء الأندلسي تميزا له عن ابن هانيء الحكمي الشهير بأبي نواس .

مولده : ولد باشيلية في سنة ٣٢٠ هـ

شاعريته : قال ابن خلكان : « هو أشعر شعراء المغرب على الإطلاق من المتقدمين والمتأخرين ولأجل ذلك يقال له متنبئ الغرب »

وقال الفتح بن خاقان : « هو علق خطير ، وروض أدب مطير ، غاص في طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون ، وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون . وله نظم تمنى الثريا أن تتوج به وتقلد ، ويود البدر أن يكتب فيه ما اخترع وولده . »

تشيعة : رحل ابن هانيء من الأندلس إلى شمال إفريقيا ومدح المعز وأصبح من خواصه المرابين إليه . وقد ارتفعت مكانته في عين الخليفة الفاطمي وعلت منزلته فأجله واحترمه ومنحه جزيل العطاء ويعتبر شعر ابن هانيء سجلا لمعتقدات الفاطميين وآرائهم ومذاهبهم ومثال ذلك قوله :

أنت الوری فاعمر حياة الوری باسم من الدعوة مُشْتَقٌّ
فالشيعه يعتقدون أن الإمام يقوم مقام النبي في دعوة الناس إلى الحق . والذي يقبل الدعوة يسمى المستجيب .

وقوله :

سَقَيْتَ فَلَا لُبَّ اللَّيْبِ مُعْطَشٌ لَدَيْكَ وَلَا كَافُورَةَ الْعَهْدِ تَسْنُخُ
والمستجيب لا يدخل في الدعوة إلا إذا أخذ عليه العهد والميثاق .

وقوله :

قد كان يُنذِرُ بالوعيدِ لطولِ ما أَصْغَى إِلَيْكَ وَيَعْلَمُ التَّأْوِيلَ
فالشيعية يعتقدون بأن آيات القرآن تحتوى على معاني خفية لا يدرك
كنهاها إلا الإمام الذى تلقى عليها عمن سبقه من الأئمة . وقد كرر ابن
هاني هذا الاعتقاد فى موضع آخر فقال .

أَهْلُ الثُّبُوءِ وَالرَّسَالَةِ وَالْهَدَى فِي الْبَيِّنَاتِ وَسَادَةُ أَطْهَارِ
وَالْوَحْيِ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّحْلِيلِ وَالْجَزْمِ لَا خُلْفَ وَلَا إِنْكَارَ
وقال :

هَذَا تُرِيدُ مِنَ الْكِتَابِ نَوَاصِبٌ وَلَهُ ظُهُورٌ دُونَهَا وَبُطُونٌ
فالشيعية يرون أن لكل ظاهر باطنا خفى عن الناس لأن عقولهم
لا تستطيع إدراك علم الباطن الذى هو سر الله المصون الذى يجب
أن يظل مكتوما عمن لا يستحقه . قال .

إِذَا كَانَتْ الْأَبَابُ يَقْصُرُ شَأُوهَا فَظَلَمَ لِسَرِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يُكْتَمَرْ
والشيعية يعتقدون بالوصي الذى وصاه النبي بالقيام بالأمر من بعده
وفى ذلك يقول ابن هاني .

تَوْمٌ وَصِيَّ الْأَوْصِيَاءِ وَدُونَهُ صُدُورُ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِكِ
وجود الإمام ضرورى فى نظر الشيعة من ثلاثة أوجه أولها أن

الله لما أرسل رسوله إلى الناس ليهديهم إلى صراطه المستقيم ، لزم أن يكون في كل زمان من يقوم بوظيفة النبي من هداية الخلق ونشر الأمن والعدل . وثانيها أن لغات الناس متفرقة فلا يفهم بعضهم لغة البعض ، فوجود الإمام ضروري ليفهم الناس شؤون دينهم كل بلسانه ولغته . وثالثها أن الله كما خلق الجبال وجعلها أوتادا تمسك الأرض أن تמיד بمن عليها ، كذلك جعل الأئمة أوتادا للدين حتى لا يزول . وفي هذا ترى ابن هاني يقول .

إذا كان آمنٌ يشملُ الأرضَ كُلَّهَا فلا بُدَّ فيها من دليلٍ مُقَدَّمٍ
إذا كان تقريُّقُ اللُّغَاتِ لِعِلَّةٍ فلا بُدَّ فيها من وسيطٍ مُتَرَجِّمٍ
وآيَةُ هذا أَنَّ حَيَّ اللهُ أَرْضَهُ ولكنها لم تَرَسُ من غيرِ مَعْلَمٍ
ويقول في قصيدة أخرى .

لولاكَ لم يكنِ التَّفَكُّرُ وَاِعْظًا والعقلُ رَشْدًا والقياسُ دليلاً
لو لم تكنْ سَكَنَ البلادِ تَضَعُضَعَتْ وتَزَايَلَتْ أركانُها تَزْيِيلاً
ومن مبادئ الشيعة أن الإمام لا يقوم إلا بالنص من قبله كما

لا يجوز قيام النبي إلا بإذن من الله . قال ابن هاني .
وما ذاك أَخْذًا بِالْفِرَاسَةِ وَحَدَّهَا ولا أَنَّهُ فِيهَا مِنَ الظَّنِّ مُضْطَرٌّ
ولكن موجودا من الأثر الذي تَلَقَّاهُ عن حبرٍ ضنينٍ به حبرٌ
ويرى الشيعة أن الإمام هو سبب وجود الدنيا بجميع ما فيها وهو علتها ولولاه لما كانت أرض ولا سماء ولا شمس ولا قمر . قال ابن هاني .
هو عِلَّةُ الدُّنْيَا وَمِنْ خَلَقَتْ لَهُ وَلِئِلَّةٍ مَا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ

وقال :

هذا صَمِيرُ النَّشْأَةِ الأولى التي بدأ الإلهُ وَغَيْبُهَا المَكْنُونُ
من أَجْلِ هذا قُدِّرَ المَقْدُورُ في أُمِّ الكِتَابِ وَكُوِّنَ التَّكْوِينُ
والإمام عند الشيعة من أكمل مخلوقات العالم جسدا وروحا
وهو جامع لكل الفضائل والخيرات وجسده برىء من كل عيب وروحه
سالم من كل نقصان . قال ابن هاني .

فَرَعَ الإلهُ له بِكُلِّ فَضِيلَةٍ أَيَّامَ آيَاتِ الكِتَابِ تَفَصَّلُ
وقال :

وروح هُدًى في جِسم نورٍ يَمُدُّهُ شُعَاعٌ من الأعلى الذي لم يُجَسِّم
والإمام عندهم متصف بكل صفة يتصف بها النبي من كونه أمين الله
وهادى الخلق ووارث الأرض وشفيع الناس . فالإمام متصف بكل
هذه الصفات . قال ابن هاني .

هذا أمينُ الله بين عباده وبلاده إن عُدَّتِ الأُمَماءُ
هو الوارث الأرض عن أبوين أب مصطفى وأب مُرْتَضَى
وقال :

الله من سَبَبٍ بالله متصل وظِلٌّ عدلٍ على الآفاق تمدود
وقال :

هذا الشفيعُ لأُمَّةٍ يَأْتِي بها وَجُدُودُهُ لجدودها شُفَعَاءُ
وهو معصوم مثل النبي لا يصدر منه خطأ ولا تبدو منه زلة لانه
ملهم من الله بأعظم درجات الإلهام ومؤيد منه بأكبر حدود التأيد

وهو مؤتمن على هداية الخلق بعد الرسول . قال صاحبنا .
من كان سيما القدس فوق جبينه فَأَنَا الضَّمِينُ بَأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ
وقال :

مُؤَيَّدٌ بِاخْتِيارِ اللَّهِ يَصْحَبُهُ وَلَيْسَ فِيهِ أَرَاهُ اللَّهَ مِنْ خَلَلٍ
ومعرفة الإمام عند الشيعة واجبة على الجميع لحديث يروونه عن
النبي وهو « من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية »
وكذلك ولايته واجبة عليهم . فلا نجاة لأحد من الناس إلا إذا عرف
الإمام وخضع لحكمه خضوعاً تاماً ومنحه ولائه وإخلاصه . وقد أتى ابن
هاني بهذا في شعره حيث يقول .

لِيعْرِفَكَ مِنْ أَنْتَ مَنِّجَاتُهُ إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهَ حَقَّ التَّقَى

فَرَضَانِ مِنْ صَوْمٍ وَشُكْرِ خَلِيفَةٍ هَذَا بِهَذَا عِنْدَنَا مَقْرُونُ

لَوْ لَمْ تَكُنْ سَبَبَ النِّجَاةِ لِأَهْلِهَا لَمْ يُغْنِ إِيمَانُ الْعِبَادِ قَتِيلَا

لَئِنْ كَانَ لِي عَنْ وَدِّكُمْ مُتَأَخِّرُ فَإِلَى فِي التَّوْحِيدِ مِنْ مُتَقَدِّمِ

والإمام كما يرون مظهر نور الله الذي ينتقل من إمام إلى إمام فانه
يتجلى بنوره في شخص الإمام . فإذا علمنا هذا استطعنا أن نفهم بسهولة
قول ابن هاني .

وما كُنْهُ هَذَا النُّورُ نَوْرُ جَبِينِهِ وَلَكِنَّ نَوْرَ اللَّهِ فِيهِ مُشَارِكُ

— ١٥٩ —

وبدا تَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ عَفْوَاً وَفَاءَ لِيُونُسَ الْيَقْطِينُ

مِنْ شُعْلَةِ الْقَبَسِ الَّتِي عَرَصَتْ عَلَى مُوسَى وَقَدْ حَارَتْ بِهِ الظَّلْمَاءُ

وَلَقَدْ بَرَأَكَ فَكُنْتَ مَوْثِقَهُ الَّذِي أَخَذَ الْكِتَابَ وَعَهْدَهُ الْمَسْئُولَا

فالشَّيْعَةُ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا وَالْأُئِمَّةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَفْضَلُ جَمِيعِ الْبَشَرِ وَإِنْ
نُورُهُمْ خُلِقَ قَبْلَ أَنْ يَوْجِدَ الْعَالَمَ وَحُبُّهُ إِنْ نُورِ اللَّهِ أَزْلَى يَنْتَقِلُ مِنْ إِمَامٍ
إِلَى إِمَامٍ حَتَّى اتَّصَلَ بِالْمَعْزِ ، فَنُورُ الْمَعْزِ هُوَ النُّورُ الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ هَؤُلَاءِ
الْأَنْبِيَاءُ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ بِهِ دَعَاءَهُمْ .

وهكذا سار ابن هانيء في شعره على هذه الوتيرة ، فلا عجب أن كان
لشعره طابع خاص ميزه عن غيره من شعراء الشيعة . فهو لم يرث الحسين
ولم يذكر عليا ولا مناقبه ، ولم يقصر شعره على هجاء الأمويين والعباسيين ،
ولم يتعرض للشيخين بطعن ولا سب ، إنما وقف شعره على نشر الدعوة
للخلافة الفاطمية وبت مبادئ العبيديين ، وقد كان هذا من الأمور
الطبيعية لأن هذه الدولة الجديدة الناشئة أضحّت في حاجة إلى تثبيت
دعائمه وتقوية مركزها ، بعد أن أصبح الأمر بيد خلفائها . وليس
أقوى من الشعراء في هذا المضمار ولا أقدر منهم . وقد وجد المعز
في ابن هانيء خير نصير ومعين على نشر الدعوة الفاطمية وقد قيل إنه
حزن حزنا شديدا لما سمع بوفاته .

مدحه للبحر

وقد مدح ابن هانيء الأندلسي المعز لدين الله الفاطمي بقصائد كثيرة
أظهر فيها قوة ومثانة، ووفق فيها إلى أقصى درجات التوفيق. ومثال
ذلك قوله من قصيدة :

وطفقت أسألُ عن أغرٍّ مُحَجَّل	فإِذَا الْإِنَامُ جِبَلَةٌ دَهْمَاءُ
حَتَّى دُفِعْتُ إِلَى الْمَعَزِّ خَلِيفَةً	فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَطْلَبَ الْخُلَفَاءُ
جودٌ كَانَ أَلِيمٌ فِيهِ نَفَاةٌ	وَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا عَلَيْهِ غُشَاءُ
مَلِكٌ إِذَا نَطَقَتْ عُلاهُ بِمَدْحِهِ	خِرْسَ الْوَفودُ وَأَفْحَمَ الْخُطْبَاءُ
هُوَ عِلَّةُ الدُّنْيَا وَمَنْ خُلِقَتْ لَهُ	وَلَعَلَّةٌ مَا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ
مِنْ صَفْوِ مَاءِ الْوَحْيِ وَهُوَ مُجَاجَةٌ	مِنْ حَوْضِهِ الْيَبُوعُ وَهُوَ شِفَاءُ
مِنْ أَيْكَةِ الْفِرْدَوْسِ حَيْثُ تَقَفَّتْ	ثِمَارُهَا وَتَفِيًّا الْأَفْيَاءُ
مِنْ سُعْلَةِ الْقَبْسِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى	مُوسَى وَقَدْ حَارَتْ بِهِ الظُّلُمَاءُ
مِنْ مَعْدِنِ التَّقْدِيسِ وَهُوَ سُلَالَةٌ	مِنْ جَوْهَرِ الْمَلَكُوتِ وَهُوَ ضِيَاءُ
مِنْ حَيْثُ يُقْتَبَسُ النَّهَارُ لِمَبْصَرِ	وَتُشَقُّ عَنْ مَكْنُونِهَا الْأَنْبَاءُ
فَتَقِظُّوا مِنْ غَفْلَةٍ وَتَقْبَهُوا	مَا بِالصَّبَاحِ عَنِ الْعَيُونِ خِفَاءُ
لَيْسَتْ سَمَاءُ اللَّهِ مَا تَرَأَوْهَا	لَكِنْ أَرْضًا تَحْتَوِيهِ سَمَاءُ
أَمَا كَوَاكِبُهَا لَهُ تَفْوَاضِعُ	تُخْفِي السَّجُودَ وَيُظْهِرُ الْإِيْمَاءُ
وَالشَّمْسُ تَرْجِعُ عَنْ سَنَاهُ جَفُونَهَا	فَكَأَنَّمَا مَطْرُوفَةٌ مَرَهَاءُ

هذا الشَفِيعُ لأُمَّةٍ يَأْتِي بِهَا
 هذا أَمِينُ اللَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ
 هذا الَّذِي عَطَفَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ
 هذا الْأَغَرُّ الْأَزْهَرُ الْمُتَأَلِّقُ اللَّهُ
 فَعَلِيهِ مِنْ سِيَمَا النَّبِيِّ دَلَالَةٌ
 وَرَثَ الْمُقِيمِ يَثْرِبِ فَلْيَنْتَبِرُ الْآ
 وَالْخُطْبَةُ الزَّهْرَاءُ فِيهَا الْحِكْمَةُ الـ
 لِلنَّاسِ إِجْمَاعٌ عَلَى تَفْضِيلِهِ
 وَاللَّكْنُ وَالْفُصْحَاءُ وَالْبُعْدَاءُ وَالـ
 ضَرَّابُ هَامِ الرُّومِ مُنْتَقِماً وَفِي
 تَجْرِي أَيْادِيهِ الَّتِي أَوْلَاهُمْ
 لَوْلَا انْبِعَاثُ السِّيفِ وَهُوَ مُسَلِّطٌ
 كَانَتْ مَلُوكُ الْأَعْجَمِينَ أَعِزَّةً
 لَنْ تُصْغَرَ الْعُظَمَاءُ فِي سُلْطَانِهِمْ
 جَهْلَ الْبَطَارِقُ أَنَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي
 حَتَّى رَأَى نُجَاهَهُمْ مِنْ عَزْمِهِ
 فَتَقَاصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا حَكَمَ الرَّدَى
 وَالسَّيْلُ لَيْسَ يَحِيدُ عَنْ مُسْتَهِّهِ
 لَمْ يُشْرِكُوا فِي أَنَّهُ خَيْرُ الْوَرَى

وَجُدُودُهُ لَجْدُودِهَا شُفَعَاءُ
 وَبِلَادِهِ إِنْ عُدَّتِ الْأَمْنَاءُ
 وَسَعَابُهَا وَالرُّكْنُ وَالْبَطْحَاءُ
 تَدَقُّقُ الْمَتَبَلِّجُ الْوَضَاءُ
 وَعَلَيْهِ مِنْ نُورِ الْإِلَهِ بِهَاءُ
 عَلَى لَهُ وَالشَّرْعَةُ الْعَلِيَاءُ
 غُرَاءُ فِيهَا الْحِجَّةُ السَّيْضَاءُ
 حَتَّى اسْتَوَى اللَّؤْمَاءُ وَالْكَرْمَاءُ
 قُرَبَاءُ وَالْخُصَمَاءُ وَالشَّهَدَاءُ
 أَعْنَاقُهُمْ مِنْ جُودِهِ أَعْبَاءُ
 فَكَأَنَّهَا بَيْنَ الدِّمَاءِ دِمَاءُ
 فِي قَتْلِهِمْ قَتَلَتْهُمْ الْأَنْبَاءُ
 فَأَذَلَّهَا ذُو الْعِزَّةِ الْأَبَاءُ
 إِلَّا إِذَا ذَلَفَتْ لَهَا الْعُظَمَاءُ
 أَوْصَى الْبَنِينَ بِسُلْبِهِ الْآبَاءُ
 غِيبَ الَّذِي شَهِدَتْ بِهِ الْعُلَمَاءُ
 وَمَضَى الْوَعِيدُ وَشُبَّتِ الْهَيْجَاءُ
 وَالسَّهْمُ لَا يُدْلِي بِهِ غُلُوءُ
 وَلِذِي الْبَرِيَّةِ عِنْدَهُمْ شَرَكَاءُ

وإذا أَقَرَّ المشركون بفضله
 في الله يسرى جوده وجنوده
 أو ما ترى دول الملوك تطيعه
 نزلت ملائكة السماء بنصره
 والفلك والفلك المدار وسعده
 والدهر والأيام في تصريفها
 أين المفر ولا مفر لها رب
 ولك الجوارى المنشآت مواخرًا
 والحاملات وكلها محمولة
 والأعوجيات التي إن شويقت
 الطائرات الساجات سابقًا
 فالباؤس في خمس الوغى لكماتها
 لا يصديرون نحوها يوم الوغى
 شم العوالي والأنوف تبسموا
 لسوا الحديد على الحديد مظاهرًا
 وتقتعوا الفولاذ حتى المقلعة النج
 فكأنما فوق الأكف بوارق
 من كل مسرود الدخار صقوه
 وتعاثقوا حتى رديلتهم

قسراً فما أدراك ما الحنفاء
 وعديده والعزم والآراء
 فكأنها خول له وإماء
 وأطاعه الإصباح والإساء
 والغزو في الدأماء والدأماء
 والناس والخضر والغبراء
 ولك البسيطان الثرى والماء
 تجرى بأمرك والرياح رخاء
 والنايجات وكلها عذراء
 سبقت وجرى المذكيات غلاء
 ت الناجيات إذا استحيث نجاء
 والكبرياء هن والخيلاء
 إلا كما صبغ الخدود حياء
 تحت القنوس فأظلموا وأضاءوا
 حتى اليلامق والدروع سواء
 لاء فيها المقلعة الخوصاء
 وكأنما فوق المتون إضاء
 حبك ومصقول عليه هباء
 عطشى ويبيضهم الرقاق رواء

أَعَزَّتْ دِينَ اللَّهِ يَا ابْنَ نَبِيهِ
فَأَقْلُ حَظِّ الْعَرَبِ مِنْكَ سَعَادَةٌ
فَإِذَا بَعُثْتَ الْجِيْشَ فَهُوَ مِنْهُ
يَكْسُو نَدَاكَ الرُّوضَ قَبْلَ أَوَانِهِ
وَصِفَاتِ ذَاتِكَ مِنْكَ يَأْخُذُهَا الْوَرَى
قَدْ جَالَتْ الْأَوْهَامُ فِيكَ فَدَقَّتْ
فَعَنْتْ لَكَ الْأَبْصَارُ وَانْقَادَتْ لَكَ
وَتَجَمَّعَتْ فِيكَ الْقُلُوبُ عَلَى الرِّضَى
أَنْتَ الَّذِي فَصَلَ الْخُطَابَ وَإِنَّمَا
وَأَخْصَ مَنْزِلَةً مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي
أَخَذُوا السَّكَّامَ كَثِيرُهُ وَقَلِيلُهُ
دَانُوا بِأَنْ مَدِيحَتَهُمْ لَكَ طَاعَةٌ
فَاسْلَمْ إِذَا رَأَى الْبَرِيَّةَ حَادِثٌ
فِيهِ تَنْزَلَ كُلُّ وَحْيٍ مُنْزَلٍ
فَتَطُولُ فِيهِ أَكْفُ آلِ مُحَمَّدٍ
مَازَلْتَ تَقْضِي فَرَضَهُ وَأَمَامَهُ
حَسْبِي بِمَدْحِكَ فِيهِ ذُخْرًا لِلْوَرَى
هِيَهَاتَ مِنَّا شُكْرُ مَا تَوَلَّى وَلَوْ
وَاللَّهُ فِي عِلْيَاكَ أَصْدَقُ قَائِلٍ
لَا تَسْأَلَنَّ عَنِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ

فَالْيَوْمَ فِيهِ تَحْمُطُ وَإِلَاءُ
وَأَقْلُ حَظِّ الرُّومِ مِنْكَ شَقَاءُ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّأْيَ فَهُوَ قَضَاءُ
وَتَحْمِيدُ عَنْكَ اللَّزْبَةُ اللَّوَاءُ
فِي الْمَكْرُمَاتِ فَكُلُّهَا أَسْمَاءُ
أَفْكَارُ عَنْكَ لَجَلَّتِ الْآلَاءُ
أَقْدَارُ وَاسْتَحْيَتْ لَكَ الْأَنْوَاءُ
وَتَشَيَّعَتْ فِي حُجْبِكَ الْآهْوَاءُ
بِكَ حُكْمَتُ فِي مَدْحِكَ الشُّعْرَاءُ
أَمْثَالُهَا الْمَضْرُوبَةُ الْحُكَمَاءُ
قَسَمِينَ ذَا دَائِهِ وَذَلِكَ دَوَاءُ
فَرَضَ فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَيْكَ جَزَاءُ
وَإِخْلُدْ إِذَا عَمَّ النَّفُوسَ فَنَاءُ
فَلْأَهْلِ بَيْتِ الْوَحْيِ فِيهِ ثَنَاءُ
وَتُغْلُ فِيهِ عَنِ النَّدَى الطَّلَاءُ
وَوَرَاءَهُ لَكَ نَائِلٌ وَجِبَاءُ
لِلنُّسْكِ عِنْدَ النَّاسِكِينَ كِفَاءُ
شَكَرْتُكَ قَبْلَ الْأَلْسَنِ الْأَعْضَاءُ
فَكَأَنَّ كُلَّ قَوْلِ الْقَائِلِينَ هَذَا
فِي رَاحَتِكَ يَدُورُ كَيْفَ تَشَاءُ

— ١٦٤ —

ومدأح ابن هانيء كلها على هذا النحو . وقد كرر كثيرا من المعاني
في قصائد مختلفة وردد ما أتى به هنا من الآراء والمبادئ في غير
هذه القصيدة .

وفاته : توفي ابن هانيء في عام ٣٦٢ هـ وعمره ست وثلاثون سنة .
وجد مقتولا وقد اختلف في سبب قتله .

(انتهى)

فهرس

صفحة	
هـ	مقدمة الطبعة الثانية
و	مقدمة الطبعة الأولى
	الباب الأول
١	الفصل الأول : مشكلة الخلافة
١٦	الفصل الثاني : فرق الشيعة
	الباب الثاني
٢٣	مقدمة - التشيع والأدب
	الفصل الأول :
٢٥	(١) الخطابة
٢٨	(٢) الرسائل
٣٥	(٣) الحديث
٤٠	(٤) القصص
٤٤	(٥) انتحال القول
	الفصل الثاني :
٥٠	خطباء الشيعة - الأمام على
٥١	نهج البلاغة
٦٨	خطباء آخرون
	الباب الثالث
	الفصل الأول : فى الشعر
٦٩	(١) شعر أبى طالب
٧١	(٢) شعر على
٧٦	(٣) على السنة أعدائهم
٧٩	(٤) كفر ومجون

صفحة	
٨٤	الفصل الثاني : الشعر عند الشيعة
٨٥	(١) المدح
٩٠	(٢) الرثاء
٩٢	(٣) الهجاء
٩٤	(٤) الدفاع عن حق علي
٩٩	(٥) ذكر مناقب آل البيت
١٠١	(٦) النقائض
	الباب الرابع :
١٠٤	شعراء الشيعة
١٠٤	(١) الكميث
١١٠	(٢) كثير
١١٦	(٣) العبلي
١١٩	(٤) السيد الحميري
١٢٦	(٥) دعبل الخزاعي
١٣١	(٦) ابن الرومي
١٣٥	(٧) المفجع البصري
١٣٨	(٨) الشريف الرضي
١٤٩	(٩) مهيار الديلمي
١٥٤	(١٠) ابن هانئ الأندلسي
١٦٠	مدحه للمعز

رقم الإيداع ٩٤ / ١٠٦١١

الترقيم الدولي 977 - 5383 - 10 - 2

دار العرب
للطباعة